أعلام
مبرّزون

الإسكندر الأكبر



أعلام مبرزون
من الشرق والغرب

الإسكندر الأكبر

٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

سلسلة في عشر حلقات تعرض سيراً موجزة
لأعلام مبرزين من الشرق والغرب

١ـ الإسكندر الأكبر
٢ـ هنيبعل
٣ـ أبو العلاء المعرّي
٤ـ ابن بطوطة
٥ـ ابن خلدون
٦ـ كريستوف كولومبوس
٧ـ وليم شكسبير
٨ـ نابوليون بونابرت
٩ـ ليون تولستوي
١٠ـ المهاتما غاندي

كتبها وأشرف على إصدارها
الدكتور صالح الأشتر

سلسلة صغيرة تغنيك عن مكتبة كبيرة

مقدمة

كان الاسكندرُ المَقْدونيُّ ـ الذي عُرِف باسم **الاسكندرِ الأكبرِ** ـ واحداً من كِبارِ القادةِ العسكريينَ الذينَ عَرفَهم العالَمْ، وسيرته الحافلةُ بالفتوحاتِ والأمجادِ تروي حياةَ عَبْقريٍّ **مُبَرِّزٍ في الحربِ والادارةِ والسياسةِ**، قادَ الجيوشَ قبلَ أكثرَ مِنْ ألفَيْ عامٍ. وخاضَ بها عدداً من المعاركِ الحاسمةِ التي كانَ النصرُ حليفَهُ دائماً فيها، حتى تمكّنَ من **السَّيْطرةِ على أكثرِ بلادِ العالمِ المعروفةِ في ذلكَ الزمنِ القديمِ**، وشملتْ فتوحاتُه ولاياتِ آسيةَ الصُغرى برُمَّتِها، وقضى فيها على الامبراطوريةِ الفارسيةِ، وغزا بلادَ الهندِ، وعندما وافتْهُ مَنِيَّتُهُ في مدينةِ (بابِلَ) كان يُعِدُّ حملةً كُبرى ليغزوَ بها افريقيةَ، وكان في أوْجِ مجدِهِ وشبابِهِ، إذْ لم يُتمَّ الثالثةَ والثلاثينَ من حياتهِ القصيرةِ الأمدِ!

كانَ الاسكندرُ الأكبرُ **يحلُمُ بالاستيلاء على العالمِ كُلِّهِ**، لِيُوحِّدَ شُعوبَه المُختلفةَ تحتَ حُكمِه، ويجعلَ حضارةَ اليونانِ تَعُمُّ أرجاءَ المعمورةِ، ويرى بعضُ الباحثينَ أنَّ الرجلَ كانَ مُصاباً بجنونِ

العَظَمةِ والسيطرةِ، وأنّ ما رآه في مِصرَ وبلادِ الفُرسِ، من تأليهِ الشّعوبِ الشرقيةِ للملوكِ الحاكمينَ، قد دفعَه إلى إيثارِ طريقتِهم في نظرةِ أتْباعهِ إليه، فحاول أن يجعلَهم يعتقدون بأنّه ابنُ (آمونَ) إلهِ المصريينَ الأقدمينَ، ولكنّ عدداً من قُوّادِهِ منَ المَقْدُونيّينَ واليونانيينَ، لم يَسْتجيبوا لِنَزَواتِه، وسَخِرَ بعضُهم من رُكوعِ الناسِ للاسكندرِ، فدفعَ حياتَه ثمناً لِتلك السُّخريةِ!

والحقُّ أنّ الامبراطوريةَ العُظمى التي استطاعَ الاسكندرُ الأكبرُ أنْ يُؤسِّسَها بسيفِه وفتوحاتِه **خلالَ فترةٍ لا تتجاوزُ اثنتي عَشْرةَ سنةً** هي حَدَثٌ لا نكادُ نجدُ له مثيلاً في التاريخِ، ولكنّ الفاتحَ العظيمَ لم يُقدَّرْ له أن يحكُمَ تلكَ الامبراطوريةَ الواسعةَ، لِموتِه المُبَكِّرِ وهو في رَيْعانِ قُوتِه ورُجولتِه، وسنحاولُ تقديمَ سيرةِ حياتِه إلى القارىء العزيز بكل ما فيها من بُطولاتٍ وآمالٍ وآلامٍ، وسنُرافقُ هذا الرجلَ العظيمَ الخالدَ منذُ طفولتِه ونشأتِهِ وتكوينِهِ إلى تَوَلّيهِ عرشَ مقدونيةَ بعدَ مصرعِ أبيه الملكِ فيليبَ، ثم نشهدُ انطلاقَ حَملاتِه الحربيةِ المُتواليةِ التي حال موتُه المبكِّرُ دونَ أن تجعلَ منه سيّدَ العالمِ كلِّهِ!

الباب الأول

عصر الاسكندر الأكبر

(القرن الرابع قبل الميلاد)

ـ ١ ـ

في تلكَ الحقبةِ من التاريخِ القديمِ كان **الفُرسُ والإغريقُ أعظمَ قوّتيْنِ في العالمِ**، وكانتِ الحروبُ بينهما لا تكادُ تنقطعُ، وكان الاغريقُ يُحاولونَ التغلُّبَ على خلافاتِهم الداخليةِ للصُّمودِ في وَجْهِ الخَطَرِ الفارسيِّ الدَّاهِمِ، وكانت **بلادُ اليونان مُجَزَّأةً إلى عِدَّةِ دُوَيْلاتٍ صغيرةٍ**، تَضُمُّ كُلُّ واحدةٍ مدينةً مع الأَرْيافِ المجاورةِ كُلِّها، مثل أثينا واسبارطةَ وطِيبةَ، وكانت كُلُّ دُوَيْلةٍ تكيدُ لأُختِها، وتحاولُ الهَيْمَنَةَ عليها، لاستغلال مَرافِقِها وتحقيقِ مطامِعِها الخاصة، ولكنَّ الإغريقَ كانوا على الرغمِ مِن مظاهرِ الاختلافِ الكثيرةِ بينهم يَشْعُرونَ شُعوراً

قوياً بِوَحْدَتِهم، ويقولُ مُؤَرِّخُهم **هيرودوت:** «إنَّ الإغريقَ يجري في عُروقِهم دمٌ واحدٌ، وهم يتحدَّثون لُغةً واحِدة، ويَعبُدُونَ نَفْسَ الآلهةِ، ولهم نَفْسُ المعابِدِ.» والحقُّ أنَّ وَحْدَةَ الإغْريقِ كانت تَظْهرُ جَلِيَّةً في ديانتِهم، كما كانت التَجمُّعاتُ الدينيةُ والرياضيَّةُ والأدبيّةُ تُذْكي رُوحَ الوحدةِ فيما بينَهم، وكانت ميولُهم النَّفْسِيةُ والفِكريّةُ والجماليَّةُ واحدة، لِتَعَلُّقِهم بالحُريَّةِ، واهتمامِهم بالخَطابةِ والحِكْمةِ والفَلْسفةِ، وإعتبارِهم أن الجمالَ يكمُنُ قبلَ كُلِّ شيء في الانسجامِ.

وعلى الرغمِ من مظاهرِ الوَحْدَةِ التي تجمعُ بينَ الإغريقِ **لم يستطيعوا توحيدَ بلادِهم،** فباءتْ بالإخفاقِ محاولاتُ تَوْحيدِ المُدُنِ؛ وقد اتّحد الآثينيُّون والسِبارطيُّون حيناً، وَوَقَفُوا جَنْباً إلى جَنْبٍ

فألحقوا بالجيشِ الفارسيّ الكبيرِ هزيمةً ساحقةً في معركة بلاثية (٤٧٩ ق.م) وكان صوتُ الشاعرِ اسخيليوسَ يُهيبُ بهم:

«هيّا يا أبناء الإغريق، خَلِّصُوا الوطنَ، وحَرِّروا نِساءكم وأبناءكم، وأَنْقِذوا معابدَ آلهةِ آبائكم، ومَدافِنَ أَجْدادِكم، فلَقَدْ حلَّتِ المعركةُ الفاصِلَةُ.»

ولكنَّ التناحُرَ على السَّيْطرةِ بعدَ ذلكَ عادَ لِيُفَرِّق بينَ المدينتينِ، فَتَحاربَتا طويلاً (**حروب البلوبونيز**: ٤٣١-٤٠٤ ق.م) وشاركت مدينةُ طيبةَ في تلك الحُروبِ أيضاً، وبسببِ هذه الحروبِ المتواليةِ ضَعُفَتْ قُوَّةُ المُدُنِ الاغريقيّة. في الوقتِ الذي أخذتْ فيهِ قوة (**مقدونيّة**) تَظهرُ لِتَقُومَ بدورِها المجيدِ في تَوْحيدِ دُوَيْلاتِ المُدُنِ اليونانيةِ المُتَنازعةِ، وقد

أصبح الطريقُ أمام **فيليب المقدوني ، والدِ الاسكندرِ الأكبرِ** مفتوحاً لِغَزْوِ تلكَ المُدُنِ وتوحيدها بالقُوَّةِ، لِمُواجَهَةِ الخَطَرِ الفارسيِّ.

كانتْ مملكةُ مَقْدونية الصغيرةُ في نَظَرِ تلكَ المُدُنِ بَلَداً أقرَب إلى الهَمَجيَّةِ، يسكنه شعبٌ من الناسِ الجَبَليِّينَ الأشدّاء، والقرويّينَ الخشني الطباعِ، ولم يكنْ شَعْبُ مَقْدونية من أصلٍ يونانيّ، وإنما كانَ من الشُّعوب التي تَثَقَّفَتْ بالثقافةِ واللّغةِ اليونانيةِ، ولكنَّ القدر شاء أن يتحمّل هذا الشعبُ المحاربُ الباسلُ عِبْءَ توْحيدِ البلادِ اليْونانيةِ كلّها. وكانَ فيليبُ المقدونيُّ حينَ اعتلى عَرْشَ المملكة المقدونيّةِ الصغيرةِ عام ٣٥٨ ق.م يَملكُ طُموحاً كبيراً للنُّهوضِ بتلك المُهمّةِ الجليلة، فراح يَسهرُ على **تكوينِ جَيْشٍ من عَشْرةِ آلافِ جُنديٍ، من**

أشْجَعِ المُحاربين، وقد أحسن تدريبَهم حتى جعل منهم أعظَمَ قُوَّةٍ مُحارِبَةٍ شَهِدَتْها أوربةُ حتى ذلكَ اليومِ. واعتزمَ ذلك الملكُ الطَّمُوحُ المُحارِبُ الشجاعُ أن يستخدِمَ هذا الجيشَ في توحيدِ بلادِ اليونان أوّلا. لكي يتصدّى بِهِ بعدَ ذلك لِلفُرْس؛ وقد وَرِثَ **الاسكندرُ الأكبرُ** عن أبيهِ هذه القوة الضارِبة. المُدرّبة أحسنَ تدريب، والمُخْلِصَةَ لقائدها، واستطاعَ أن يُحقِّق بها أحلامَ أبيهِ في توْحيدِ بلادِ اليونان، وأن ينْطلِقَ بها بعد ذلك لِغَزْوِ العالمِ ومُتابعةِ الفُتوحاتِ. وتحقيقِ تلك الانتصاراتِ المُذْهِلةِ التي سنشْهدُها في عَرْضِنا لسيرةِ حياته القصيرة الحافلةِ بالمجدِ وأكاليلِ الغار.

— ٢ —

يُعَدُّ الاسكندرُ الأكبر **رَجُلاً من أعاظم الرجالِ في التاريخ، وقد غَيَّرت فتُوحاتُه وَجْهَ العالم القديم في عَصْرِه،** في فَتْرَةٍ جِدِّ قصيرةٍ، وقد كان الفاتحُ العظيمُ يطمعُ في تأسيس **امبراطوريةٍ عالميةٍ** بعد أن يُقيمَ تصالُحاً بين الإغريقِ والفُرْسِ، لِيَتَّحِدُوا جميعاً تحتَ قيادَتِهِ، ويَخْضَعُوا لِمَلِكٍ واحِدٍ وقوانينَ واحدةٍ، ولكن الموتَ باغَتَهُ مُبَكِّراً وهو في أوْجِ شبابِهِ وغمْرةِ مطامِحِهِ، فقضى عليه قبلَ أنْ يُحقِّقَ ذلك الحلم العظيمَ، ولم يستطع الاغريق بعد غيابه أن يُدرِكوا أبعادَ أفكارِه، فانصرَفوا إلى استثمار ثَرَوات البُلدانِ المغلوبةِ واستعمارِ شُعوبِها لِفائدةِ الغالبينَ،

ولهذا لم تَدُمْ تلكَ الامبراطوريةُ التي أسَّسَها الاسكندرُ الأكبرُ طويلاً، وتنازَعَ قُوّادُهُ مِن بَعْدِهِ، وأقاموا **ثلاثَ ممالِكَ:** (**المَقْدُونيّةُ** في أوربةَ، **والبطالِسَةُ** في مِصْرَ، **والسّلُوقيّةُ** في آسيةَ) وراحت تلك الممالك تتناحَرُ وتتحارَبُ، مِمّا سَهَّل على **الرومانِ** بعدَ ذلكَ غَزْوَها والقضاء عليها.

إلاّ أن أكبرَ أثرٍ لِفُتوحاتِ الاسكندرِ الأكبرِ ظَلَّ باقياً، في **انتشارِ الحَضارةِ الهلّينيةِ** في تلكَ البلادِ التي آفْتَتَحَها، وهي الحضارةُ التي آنْبَثَقَتْ عن تمازُجِ الحضارةِ اليونانيةِ بحضاراتِ مِصْرَ وبلادِ الرافِدَيْنِ، واتِّصالِها بعالَمَيْ الهندِ والصِّينِ، **مِمّا أعانَ على اتِّساعِ الآفاقِ وتَقَدُّمِ العُلومِ وتَطَوُّرِ المَعارِفِ الإنْسانيةِ.**

الباب الثاني

نشأةُ الاسكندرِ وتكوينُه

٣٥٦-٣٤٠ ق.م

— ١ —

في القرنِ الرابعِ قبلَ الميلادِ كانَ شرقُ البحرِ الأبيضِ المُتوسِّطِ مركزَ العالمِ، وكانت بلادُ اليونانِ أرقى البُلدانِ فيه، وكانت مدينةُ أثينا أهمَّ المُدنِ اليونانيةِ ثقافةً ومدنيَّةً وحضارة، وكانت **مملكةُ مَقْدُونِيَّةَ في شماليِّ اليُونانِ** بلداً جليدياً في الشتاء، مُحْرِقاً في الصيفِ، تُغرقُه المياهُ في الربيعِ، ولكنَّ خُشونةَ الحياةِ فيه كانت تُنشيء رجالاً أشدَّاء، قادرينَ على خوضِ الحُروبِ والمعاركِ، ولهذا كانتْ مملكةُ مقدونيةَ الصغيرةُ تتصدّى للبرابرةِ المتوحشينَ الذين يعيشونَ في مِنْطقةِ الدانُوب وتَحُولُ دونَ زحفِهم على المُدنِ اليونانيةِ، **وقد قدَّرَ لهذه المملكةِ**

الصغيرةِ أنْ توحّدَ اليونانيينَ وتَقُودَ جُموعَهم، لِتغْزو بهم مُعظمَ ممالكِ العالمِ المعروفةِ في ذلك الزمانِ، تحتَ رايةِ الاسكندرِ المَقْدونيِّ الذي حاول أن يُسيطرَ على العالمِ القديمِ كلِّه، ويُوحّدَ شُعوبَه المختلفةَ تحتَ سُلطانهِ، ولولا قِصَرُ حياةِ هذا الفاتحِ الكبيرِ لَنجحتْ مُحاولتُه العظيمةُ وحقّقَ آمالَه وأحلامَه.

لقد شَهِدت مدينةُ (بيلّلا) عاصمةُ مقدونيةَ أحداثاً جِساماً قبلَ وصولِ **فيليبَ بنِ أمينتاسَ** إلى السُلطة: وصياً على ابنِ أخيه القاصرِ أوّلَ الأمرِ، عامَ ٣٥٨ ق.م، ثم حلَّ محلَّه بعدَ ثمانيةِ أعوامٍ، بصورةٍ شرعيةٍ، وبمُوافقةِ الجيشِ والشعبِ على تتْويجِه!

أصبح فيليبُ وصياً على العرشِ، وهو في الثالثةِ والعشرينَ من عُمرِهِ، وقد عُرِفَ بشجاعتِه وإقدامِه

وثقافتِه الواسعةِ، كما عُرِفَ بإفراطه في طلبِ الملذّاتِ، واندفاعِهِ وراء الخمرةِ والنساء، واشتهرَ بحِدَّةِ الطبعِ وشَراسةِ الخُلُقِ وكثْرةِ المكرِ والخِداعِ، وقد صرفَ أكبرَ همِّهِ للعنايةِ بالجيشِ وتنظيمِه، وتمكَّنَ منَ الاستيلاءِ على **منجمِ الذهبِ في جبل بانجه**، وأحسنَ استثمارَهُ، فأصبحَ المالُ الذي يلزَمُه للاحتفاظِ بالسُّلطةِ موفوراً بينَ يديهِ، واتجهَ طُموحُه إلى توْحيدِ اليُونانِ، وظَلَّ طَوالَ حياتِه يخوضُ المعاركَ ليجمعَ تلكَ الممالكَ الصغيرةَ المتفرقةَ في مملكةٍ مُوحَّدةٍ قويةٍ قادرة على الصُّمودِ في وجهِ **الفُرسِ الذين كانوا يُهدِّدونَ تلكَ الولاياتِ الاغريقيةَ من الشرقِ**، ولم تُذْعِنْ بعضُ تلكَ الولاياتِ لِرَغْبةِ فيليبَ المقدونيِّ في الاتحادِ، وقاوَمَتْهُ، فأرسلَ إليها حَملاتٍ عسكريةً لِلقَضاء على مُقاومتِها وإخضاعِها.

وفي عام ٣٥٧ ق.م التقى فيليبُ خلالَ رِحْلةٍ له إلى جزيرة (ساموتراقيا) بفتاة فاتنةٍ شابةٍ تُدعى **اولمبياسَ**، وكانت أميرة تنحدرُ من أصلٍ مَلكيٍّ، فأحبَّها وتزوَّجها، وضمنَ بِزَواجِه منها مُحالفةَ شقيقِها **اسكندرَ مُولوسَ** ملكِ ولايةِ **آبيرا** المجاورةِ لِمَقْدونيةَ.

كانت اولمبياسُ ذاتَ شخصيةٍ جذّابةٍ ومُعقَّدة، إذْ كانت كثيرةَ الافتتانِ بالشعائرِ والطقوسِ الوثنيةِ، كما كانتْ تُؤمنُ بالعرَّافاتِ وَوُسَطاء الوَحْي وتَنَبُّؤاتِهم، وكانتْ لها أَفاعٍ مُدَرَّبةٌ حَمَلَتْها معها إلى مَخْدَعِها الزوجيِّ، فلمْ يَسْتَرِحْ فيليبُ لِرُؤيتها وهي تزحفُ حَوْلَ سريرِه، برغمِ تأكيدِ عروسِه الفاتنةِ بأنَّ أفاعِيَها مُقدَّسةٌ لا تُؤذي أحداً!

وفي الثاني والعشرينَ من حزيران عام ٣٥٦ **وضَعتْ أولمبياسُ مولودَها الأوّلَ**، وكان زوجُها

فيليبُ في ذلك اليومِ يُحاصِرُ مدينةَ (بوتيديا) اليونانيةَ، فأوفِدَ إليه رَسولٌ يُبلِّغُه النبأَ السعيدَ، ويَزُفُّ إليه البُشرى بميلادِ الوليدِ الأميرِ، الذي اختِيرَ له ٱسْمُ **(الاسكندرِ)** تَيَمُّناً باسمِ أخٍ لفيليبَ مُتَوَفًى، واسمِ شقيقِ اولمبياسَ ملكِ آبيرا.

وكانتْ فرحةُ فيليبَ بالوليدِ غامرة، إذ بلَغَهُ النبأ في يومٍ سعيدٍ حقاً، إذ تمكَّنَ فيه من احتلالِ المدينةِ التي كان يُحاصِرُها، وجاءه فيه النبأ بانتصارِ جُنودِه الذين كانوا يُحاربونَ في معركةٍ أخرى، كما بلَغَهُ خبرُ فوزِ بعضِ جيادِه في موكبِ السباقِ، فعدَّ كُلَّ تلكَ البشائرِ أمَاراتٍ لا يُمكنُ أنْ تَخيبَ، بأنَّ المولودَ في ذلكَ اليومِ السعيدِ لا بُدَّ مِن أنْ يكونَ ذا حظٍّ عَظيمٍ.

والعجيبُ أنَّ الأبَ المُغْتَبِطَ بميلادِ ابنهِ لم يَعُدْ

إلى عاصمتِه (**بيللا**) طَوالَ ثمانيةَ عَشَرَ شهراً بعدَ ذلكَ اليومِ، إذْ كان مُنهمكاً في حُروبِهِ وفُتوحاتِه، فلم يجدْ ما يَدفعُه إلى التعجيلِ بالعودةِ، لِرُؤيةِ ابنهِ الوليدِ وزوجتِه الصبيّةِ الفاتنةِ. **وكانت اولمبياسُ تشعرُ بإهْمالِ زَوْجِها**، وكانتْ أخبارُ مغامراتِه الغراميةِ مع خليلاتِه تصِلُ إليها فتزيدُها إحساساً بالإهانةِ والهوانِ، وقد بلغها أنَّ فيليبَ عادَ إلى بيللا في زيارة خاطفةٍ لِعِدّةِ أيامٍ، وغادرَها دونَ أنْ يزورَ زوجتَه أو أن يُفكرَ في رُؤيةِ طفلِهِ الصغيرِ! فقد كانت مشاغلُه الحربيةُ لا تَدَعُ له فُرصةً لذلكَ، أو كانَ الرجلُ ـ فيما يبدو ـ لا يجدُ في أحضانِ اولمبياسَ من الحُبِّ والحنانِ ما يُغريهِ بالعودةِ السريعةِ إليها.

ـ ٢ ـ

الحقُّ أن أولمبياسَ لم تكنْ تُحبُّ فيليبَ، ولكنّها كانت تتألمُ لإهمالِهِ إيّاها، وكانت تغتاظُ عندما تسمعُ أخبارَ خليلةٍ جديدةٍ من خليلاتِهِ الكُثْرِ، وكانت حروبُ فيليبَ أهمَّ مشاغِله، وفي هجومٍ لهُ على مدينةِ (ميثونَ) بعد حصارٍ طويلٍ لها أصابَه سهمٌ في خدِّهِ، وقطعَ جفنَهُ وتركَهُ أعْوَرَ تقريباً، واستولى على المدينةِ وهو مُشَوَّهُ الوجهِ، معصوبُ العَيْنِ، وجُرحُه ينزِفُ دَماً وألماً، وعندما رجَعَ مع جيشه إلى (بيللا) وهو على تلكَ الحالِ أخذَ يُلاطفُ زوجتَهُ أولمبياسَ ويُقَرِّبُها ويَتَودَّدُ إليها، ويُدْني منه الاسكندرَ الصغيرَ ويُلاعبُه ويُظهرُ السرورَ بِمُلاقاةِ

ابنِه، ولكنَّ الطفلَ كان يُحاولُ الهربَ مذعوراً، وهو يرى ذلكَ الوجهَ المُشَوَّهَ والجبينَ المَعْصُوبَ، وكان يلجأُ إلى حِضْنِ مُرْضِعَته (**هيلّانيكة**) وهي امرأة من أسرةٍ نبيلةٍ، ولها أخٌ ضابطٌ شابٌّ من ضُبّاطِ القصرِ الملكيِّ، وقد أحبَّها الاسكندرُ وجعلَها دائماً بمنزلةِ أمِّه، كما ظلّتْ هي دائماً تُحبُّه كما تُحبُّ أولادَها. وكان فيليبُ يُلاحقُ طِفْلَه إلى حِضْنِ مُرضعتِه، ويُداعبُه قائلاً:

ـ أرى يا صغيري أنك لا تُحبُّني، ولكنْ لا بُدَّ لكَ مِنْ أنْ تتعوَّدَ عِشْرَتِي وتأْنَسَ بي!

غيرَ أنَّ الطفلَ الصغيرَ لم يجدِ الوقت ليأنسَ بقربِ أبيهِ، فقد سافر فيليبُ قبلَ الصيفِ إلى الحربِ، وخلّف طفلَه وزوجتَه الحاملَ. وقد ولدتْ في الخريف من عام ٣٥٤ ق.م ابنةً سُمِّيتْ

كليوباترة، فأصبح للاسكندرِ أختٌ تَصْغرُه بعامين، وتْشاركه في حنانِ أمهما وعطفِها عليهما.

ومنذ بلغ الاسكندرُ الثانيةَ من عُمرِه عُهِدَ إلى الضابط الشاب **كليتوس** بالاشرافِ على الطفلِ ومْرافقتِه، وهذا الضابطْ هو شقيقْ مُرْضعتِه (هيللانيكة)، ويْعدُّ أولَ رفيقٍ للاسكندرِ، وكان الأميرُ الصغيرُ يَغْدو وراء رفيقِه الضابطِ، وهو يلعبْ بغِمدِ سيفِه، في أرجاء القصرِ، ويكادُ لا يْفارقُه حتى جاوز الاسكندرُ السادسة من عُمرِه، ثم أخذ يْدرِّبْ الأمير الصغير على رُكوبِ الخيلِ، ويصْحَبُهْ إلى الحْقول. ويْريه الأرانب وهي تغْدو هاربة، أو يحملْ إليه أعشاش العصافيرِ من بينِ أغصانِ الأشجارِ، حتى إذا أقبل المساء وغفا الطفلْ بين ذِراعَيْ حارسِه الأمينِ حملهْ الضابطْ الشابُّ إلى

القصرِ، وهو نائمٌ ورأسُه ذو الشعرِ الذهبيِّ على صَدْرِه، لِيردَّهُ إلى أمِّه الشابّةِ الرائعةِ الجمالِ التي كانت تغزلُ الصُّوفَ، ولا تَغْفُلُ عن رِعايةِ طفلِها والسهرِ عليه.

أمَّا والدُ الاسكندر، فيليبُ، فكانَ **توسيعُ مُمتلكاتِ مقدونيةَ شُغلَهُ الأكبرَ**، وكانت حُروبُه لِلمُدنِ على ساحلِ بحر **إيجة** لا تكادُ تنتهي، وكان فيليبُ المقدونيُّ خطيباً مُفوَّهاً، وكان يسيرُ على رأسِ جُيوشِهِ كالماردِ، بِلحيته الطويلةِ، وعينِه العَوْراء، وجبينِه المَغْضُوبِ، وكانت **أثينا** تَسْتَشْعِرُ الخطَرَ من طُموحِ فيليبَ وحُروبِهِ، وكان **ديموستينوسُ خطيبُ أثينا الأكبرُ** يُحرِّضُ جماهيرَها على فيليبَ، لاستيلائه على المُستعمراتِ الأثينيةِ، واحدة تِلْوَ أخرى، ولكنَّ فيليبَ لم يكنِ لِيكترث بذلك،

وكانت كلُّ معركةٍ من معارِكهِ تَقُودُه إلى مَحْظِيةٍ جديدةٍ يحملُها معه إلى (بيللا)، وقد وضعت واحدة من تلك المَحْظِيّاتِ عامَ ٣٥١ ق.م، وهي فيليمورا اللاريسيةُ، ولداً سُمِّيَ (آرهيدةَ) **فأصبح للاسكندرِ المقدونيِّ أخٌ غيرُ شرعيٍ يَصغُرُه بخمسِ سنواتٍ،** وعندما رَجَعَ فيليبُ بعدَ عامٍ إلى عاصمتِه، وحُمل إليه الصبيُّ لاحظَ أَمَاراتِ البلاهةِ عليه، وقد قيل إن سُمُوماً بطيئةً كانت تُدَسُّ للصبيِّ ليصيرَ غبيّاً، فلا يكونَ في يومٍ من الأيامِ قادراً على مُنافسةِ أخيه الاسكندرِ!

— ٣ —

بعدَ ثمانيةِ أعوامٍ من وِصايةِ فيليبَ المقدونيِّ على ابنِ أخيهِ القاصرِ استطاع الوصيُّ بجُهودِهِ وحُروبهِ وانتصاراتِه أن يجعلَ ممتلكاتِ مقدونيةَ ثلاثةَ أضعافِ ما كانتْ عليه، وأن يُحوِّلَها إلى دولةٍ قويةٍ مرموقةٍ، وقد راحَ يُنفقُ الأموالَ على توطيدِ سُلطانِهِ حتى أذعنَ الجميعُ له، وفي عام ٣٥٠ ق.م خلعَ فيليبُ المقدونيُّ ابن أخيه، **وتُوِّجَ ملكاً على مَقْدُونيةَ** وتَساليةَ وسائرِ الأقطارِ التي ضمَّها إلى مملكتِه، وكان تتويجُه بمُوافقةٍ إجماعيةٍ، **وأصبحتْ اولمبياسُ أمُّ الاسكندرِ ملكةً**، وأصبحَ الملكُ فيليبُ لطيفاً في معاملتِها والعنايةِ بها وبوليِده الاسكندرِ الذي بلغ السادسةَ من

عُمرِه، وكان على أبيهِ أن يَتعهَّدَهُ ويُعدَّه ليخلفه من بعْدِه، ويختارَ له المعلّمين الذين يسهرونَ على تربيته وتعليمهِ، وقد انتدبَ لذلكَ رَجُلاً يُسمّى **(ليزيماخوسَ)** كانَ يحفظُ أشعارَ **هوميروسَ** عن ظهرِ قلبه ويستشهدُ بأبياتِه في كل مُناسبةٍ، وهكذا أتيح للأميرِ الصغيرِ أن يُحبَّ هوميروسَ ويحفظَ أشعارَه ويتعشقَ البطولاتِ التي تصِفُها، وكان مُؤدِّبُه ليزيماخوس كثيراً ما **يُشبِّهُ تلميذَه الاسكندرَ بآخيلَ قاهرِ طُرْوَادَةَ**، ويُؤكدُ لمن حولَه بأنَّهُ تجسيدٌ حيٌّ لذلك البطلِ، إذْ أنَّ أسرةَ أمِّه اولمبياسَ نتمي في جُذورِها إليه، وبذلك كانَ أثرُ هذا المؤدِّبِ كبيراً في شخصيةِ الاسكندرِ وأحلامِه البُطوليةِ، وقال بعضُهم: **إن هوميروسَ، وليس ليزيماخوسَ، هو أولُ مُؤدِّبٍ للاسكندرِ!**

أما مُؤدِّبُه الثاني فكان (**ليونيداسَ**) ابنَ عمِّ أمِّه اولمبياسَ، وكان رجلاً مُتقشِّفاً يُلْزِمُ تلميذَه بالنُّهوضِ باكراً، والاكتفاء بالغذاء البسيطِ واللباسِ المُتواضِعِ، ويُكلِّفُه القيامَ بِمَسيراتٍ طويلةٍ يتخلَّلُها ركضٌ مُتْعِبٌ، وهو الذي دَرَّبَهُ على رُكوبِ الخيلِ، **وله الفضلُ في تربيتِهِ العسكريةِ الخَشِنةِ**، وتعويدِهِ الصبرَ على التعبِ والجُوعِ والعطشِ، حتى أصبحَ الاسكندرُ قادراً على السيطرةِ على نفسِه، وقد ظل دائماً يذكرُ فضلَ هذا المُؤدبِ عليه، عندما كان يتحمَّلُ المكارهَ التي تعترضُ طريقَ زحفِهِ بنَفْسٍ راضيةٍ وصَبْرٍ عجيبٍ حتى يتغلَّبَ عليها.

وأصبح الأميرُ الطفلُ يحظى بإعجابِ كُلِّ الذينَ يَشْهَدُونَ نُمُوَّ جسمِه وتكوينَ شخصيتِه المُتناميةِ شهراً بعدَ شهرٍ، في حينَ كانَ أبوه الملكُ فيليبُ يُوالي

خَوْضَ المعاركِ ومحاصرةَ المُدنِ في **اغريقيةَ** (اليونان) **وايلليريا** (يوغسلافيا وألبانيا) **وتراقية** حتى **الهللسبونط** (الدردنيل)، وقد استطاع بِمعاركهِ المظفرةِ أن يفوزَ بمُحالفةِ أثينا ويجعلَ من **مقدونيةَ أهمَّ الطوائفِ الاغريقيةِ**، حتى عامِ ٣٤٣ ق.م، وقد بلغ ابنُه الاسكندرُ يومذاك الثالثةَ عشرةَ من سِنيه، وكان نُضْجُه المبكِّرُ يزيدُه إحساساً بالثقةِ بنفسِهِ، وقد كان الفتى يتلقّى أخبارَ انتصاراتِ أبيه، بشيء من الامتعاضِ، بَدَلاً منَ الفَرَحِ، ويقولُ لمن حولَهُ غاضباً:

ــ إذا انتصرَ أبي في المعاركِ القادمةِ فلن يتركَ لي بَلَداً أغزُوه، ولن يبقى لي ما أعملُهُ!!

وذات يوم أرادَ فيليبُ أن يشتريَ جواداً أسودَ اللونِ، فارعَ القامةِ، على جمالٍ وقُوةٍ لا نظيرَ لهما، وقد أطلق عليه

صاحبُه اسمَ «**بوسيفال**» وتَعْني الأغرَّ الأ بيضَ، إذ كان يحملُ بُقعةً بيضاء في جبينِه، وقد كانَ صاحبُه يُبالغُ في ثمنِه، ويَعُدُّهُ جواداً نادِراً، غير أن فيليبَ والضباطَ في حاشيتِه لم يَستطيعوا تَذْليلَ الجوادِ، وظلَّ يَثِبُ كالوَحْشِ، مُمْتَنِعاً على كُلِّ مَنْ يُريدُ امتطاء ظهرِه، فلم يتمكَّنْ أَحَدٌ من رُكوبِهِ، وأرادَ فيليبُ أَنْ يَرُدُّوهُ إلى صاحبه، فقال الاسكندرُ:

ـــ لا يا أبي، إنّهُ لَحِصانٌ رائعُ الجمالِ، وقد عَجَزوا عن الوُثوب على ظهرِهِ لِنَقْصٍ في براعتِهم وشجاعتهم!

ثم تحدّى الفتى كُلَّ مَنْ حَوْلَهُ بأنه قادرٌ على تَرْويضِ الجوادِ ورُكوبِهِ، وراهنَهم على أن يكونَ الحِصانُ له إذا استطاعَ ذلك، وأشفقَ الملكُ فيليبُ على ابنِه من هذا التحدي، وهو غُلامٌ لا يتجاوَزُ

الثالثةَ عَشْرةَ، ولكنه رضيَ أخيراً، وقد أرادَ أن يجدَ الفُرصةَ ليكبحَ من جُماحِ ابنِه وغُرورِه، وأسرعَ الاسكندرُ إلى الجوادِ النافرِ، فراحَ يمسحُ على وجهِه بيدِه، ثم أدارَ وجهَهُ بهدوء نحو الشمسِ، لأنه لاحظَ أن الجوادَ كان يرى ظِلَّهُ على الأرضِ فيَحْرُنَ ويغضَبُ، وتقْدَحُ عيناه بالشَّرَرِ والزُّغْبِ، فلما غابَ عنهُ ظِلُّهُ استأنَسَ قليلاً، واستراحَ لِلْيَدِ التي تُداعِبُ وجهَهُ، واقتربَ الاسكندرُ منه في خِفَّةٍ، وبوثْبَةٍ واحدةٍ أصبحَ الفتى فوقَ ظهرِه، وقد ثَبَّتَ رُكبتَيْهِ، ودُهشَ الحاضرونَ، وفَجْأَةً أرْخى الاسكندرُ العِنانَ لِبُوسيفالَ وضغطَ عليه بساقَيْهِ، فاندفعَ الجوادُ يُهَرْوِلُ في السهلِ، واستبدَّ القلقُ بالأبِ على ابنِهِ وهو يرى الجوادَ ينطلقُ بِسُرعةٍ جُنونيةٍ، والاسكندرُ مُتكمِّشٌ بهِ، وقد استجابَ الجوادُ لِلجَرْيِ، فراحَ يَعدُو

بنشاطٍ، وقد انكسرتْ حِدَّةُ غَضَبِهِ، واستسلمَ لِراكبِه برضىً، فدارَ به الاسكندرُ عِدَّةَ دَوْرات قبلَ أن يَعُودَ لأبيهِ والجمعِ المُحتشدِ القَلِقِ، ونزلَ الفتى عن الحِصانِ ووجهُه يأتلقُ بعَرَق الكِبرياء وبَهْجَةِ الانتصار، وقد **أصبحَ «بُوسيفالُ» جوادَه الذي ربحَه في مُراهنَتِه**، وتلقّاه أبوهُ بدُموعِ الفَرَحِ، وقال له:

ــ ينبغي أن تبحثَ يا وَلَدي عن مَملكةٍ في مَكان آخَرَ، تليقُ بك، **لأن مَقْدُونيةَ ستكونُ أضيقَ من أن تَتَّسِعَ لِطُموحِكَ!**

وأصبحَ الملكُ فيليبُ يُبدي مَزيداً من الاهتمامِ بتربيةِ ابنهِ وتَنْشِئتِهِ، وقد قرَّرَ أن يختارَ له أقدرَ المُعلمين، **فدعا (أرسطو) أكبرَ فلاسفةِ العصرِ لتربيةِ الاسكندرِ** وتعليمِه، ولبّى المُعلِّمُ الكبيرُ دعوةَ

المَلِكِ. وقد جاءَتْهُ رسالتُه: «أنا سعيدٌ أن يكونَ الاسكندرُ مولوداً في عصرِكَ، كي يتمكَّنَ من أنْ يكونَ تلميذَكَ!» وهكذا أُتيحَ لِلفاتحِ الكبيرِ أن يَعَلِّمَهُ أرسطو زُبدةَ العُلومِ التي عُرفت في عصرِهِ: الطبَّ والسياسةِ والحقوقِ، وأَنْ يُزوِّدَهُ بِعُلومِ العقلِ والحكمةِ. وقد **أنشأ أرسطو مدرسةً ملكيةً** كان فيها شبّانُ أَنْبَلِ الأُسَرِ في المملكةِ يتلقَّوْنَ دُروسَهم عليه، إلى جانبِ الاسكندرِ، وسيجدُ الفاتحُ العظيمُ في رفاقِهِ هؤلاء أكبرَ مُساعديه ومُعاونيه على تحقيقِ مطامحِه وآمالِه في الفُتوحاتِ القادمةِ.

قضى الإسكندرُ ثلاثَ سنواتٍ (٣٤٣-٣٤٠ق.م) تلميذاً لأرسطو، وقد تَمكَّنَ بذكائِهِ المُتَفَوِّقِ من تحصيلِ كلِّ ما ينبغي أن يَعرفَه من الهندسةِ والجُغرافيةِ والأخلاقِ والحُقوقِ

والطبيعياتِ والطبِّ والتاريخِ والفلسفةِ، خلالَ تلك الفترةِ القصيرةِ، وأصبح بحيثُ لا يستطيعُ أحدٌ من رَعاياه أنْ يَتَفَوَّقَ عليه في هذه المعارفِ التي اكتسبَها والتي أهّلَتْه ليكونَ رجلاً عاقِلاً حكيماً يُحسنُ فهمَ النَّفْسِ الانسانيةِ، ويعرفُ كيفَ يقودُ الناسَ ويَحكُمُهم، وكيف يُوجِّهُ اتباعَهُ نحوَ أهدافِه، وقد ظلَّ الاسكندرُ يُردِّدُ دائماً: «**إن أبي هو الذي وَهَبَني الحياةَ، أمّا أرسطو فهو الذي علَّمني كيفَ أعيشُ!**».

وأصبح الاسكندرُ عام ٣٤٠ ق.م فتًى مهيباً في السادسةَ عشرةَ من سِنيه، ذا قامةٍ مُتوسطةٍ وجسمٍ قوي كاملِ الشكلِ مَفْتُولِ العضَلاتِ، وكانتْ بَشَرتُه بيضاء صافيةً كالحَليبِ، وكان شعرُه أشقرَ اللونِ كالذهب، وكانت عيناه تختلفانِ لوْناً: إحداهُما

زرقاء والثانية سمراء قاتمةٌ؛ وقد أتمَّ الفتى تكوينَه الجسمانيَّ والعقلي وهو في تلك السنِّ الفتيةِ حتى قيلَ عنه «إنه كان يتمتعُ وهو في السادسةَ عشرةَ بصَلابةِ اسبارطيٍّ، وثقافَةِ أثينيٍّ، وعلمِ كاهنٍ مِصْريٍّ، وطُموحِ فتىً دَيْدَنيٍّ، فكانَ يُحرز بذلك كلِّهِ إعجابَ الجميع!».

كان أبوه الملكُ فيليبُ عامَذاك يُوالي حُروبَه على ضِفافِ الهيللسبونط (الدردنيل) لانتزاعِ المُستعمراتِ الاغريقيةِ الأخيرةِ، وقد أحسَّ بالحاجةِ إلى استدعاء ولدِهِ الاسكندرِ، ليُمارِسَ الحياةَ العسكريةَ ويخوضَ الحروبَ في كَنَفِهِ، فأرسلَ يستدعيه ليلحقَ به أمامَ أسْوارِ مدينة (بيرنثيا) على بَحْرِ مَرْمَرَةَ، فتركَ الفتى حياةَ الدراسةِ والتحصيلِ، وأسرعَ يُلبّي دعوةَ أبيه، مُستقبلاً بذلكَ مرحلةً جديدة من حياته.

الباب الثالث

من الوصاية إلى المُلك

٣٤٠-٣٣٥ ق.م

— ١ —

عندما وصلَ الاسكندرُ إلى أسْوارِ (بيرنثيا) شاهدَ أباه الملكَ فيليبَ وقد ظهرتْ عليه الشيخوخةُ المبكرةُ وأثخنَتْهُ الجراحُ في المعارك، وقد أصيبَ بكسرٍ في عَظْمِ كَتِفِهِ، كما أصيبَ بِجُرحٍ ثانٍ شَلَّ ذِراعَهُ، فأصبحَ لا يقوى على تحريك يَدِهِ اليُسْرى إلا بألمٍ وجُهْدٍ كبيرَيْن، وكانت حالتُه النفسيةُ قد ازدادتْ سُوءاً، وهو يرى جُندَه عاجزين عن اقتحامِ الحِصْنِ المُحاصَرِ، خلالَ عددٍ كبيرٍ من الأَشْهُرِ، لأنَّ منافذَه البحريةَ كانت تحملُ إلى سُكانه الإمداداتِ المُستمرةَ من الفُرسِ، والعساكرَ المُحارِبينَ إلى جانِبِهِم من الإغريقِ.

كان على الاسكندرِ أن يَبْدأ حياتَه الحربيةَ ويُمارسَ القتالَ مُنذُ اليومِ التالي لِوُصولِهِ، وقد شاركَ في مُناوَشَاتِ الحِصارِ إلى جانبِ أبيهِ بِجُرأةٍ وخِفَّةٍ وشجاعةٍ وحَماسةٍ حتى استرعى أنظارَ الجيشِ المقدونيِّ كلِّه، وقد **بدأ الاسكندرُ يتعلَّمُ من أبيه أسرارَ الحربِ وفَنَّ القِيادةِ**، وقد أدركَ أن القائدَ الحقَّ يُنفقُ قبلَ المعركةِ أياماً في الاستطلاعاتِ والاستخباراتِ ودراسةِ المَيْدانِ وتأمينِ العَتَادِ والتموينِ، فمعركةٌ قد لا تَطُولُ أكثرَ من ساعَتَيْنِ تَتطلَّبُ من القائدِ الماهرِ إعْداداً طويلاً قد يزيدُ على مائةِ ساعةٍ، كما تَعلَّمَ الاسكندرُ من أبيه **فَنَّ الإدارةِ وإقامةِ شبكةٍ مُتْقَنَةٍ من الاتصالاتِ**، وقد أدركَ الفتى أن أباه كان يُحيطُ إحاطةً تامَّةً بِكُلِّ ما يجري في أقاليمِ مملكتِه يَوْماً بِيومٍ، ولا يغفَلُ عن

تزويدِ عُمّالِه بأوامرِه الشخصيةِ عند كلّ أمرٍ طارىء، وأعْجبَ الاسكندرُ بِقُدْرةِ أبيه على فَرْضِ احترامِه على أَتباعِه وجُندِه، مِنْ بَعيدٍ، للهيبةِ التي كان يَتمتّعُ بها بينَهم، والانتصاراتِ المُتلاحقةِ التي كان يخرجُ بها من مَعارِكِه المُستمرّةِ.

غير أنّ الملكَ فيليبَ نفسَه أخذ يشعُرُ بِمَلَلِ رَعاياهُ من كَثْرةِ حُروبِه، وحينَ يقضي الحاكمُ قُرابةَ عِشرينَ عاماً في حُروبٍ مُتصلةٍ لا تنقطعُ، يَمَلُّهُ النّاسُ، رغمَ انتصاراتِه، وكانَ الملكُ فيليبُ يُريدُ أنْ يعودَ إلى عاصمتِه (بيللا) في فَتْرةِ سَلامٍ يُبدِّدُ فيها استياء النّاسِ ومَلَلَهم من مُوالاةِ الحُروبِ، ولكنّ (بيرنثيا) لم تَسْتَسْلِمْ، ووراءها (بيزنطيةُ)، والتراجعُ وفَكُّ الحِصارِ بِدايةُ الهزيمةِ، وهو يأبى أن يُهْزَمَ فماذا يفعلُ؟

إنه بحاجةٍ إلى نائبٍ عنه، يقومُ مقامَه في (بيللا)، ويسوسُ النّاسَ بالحُسنى ويعرفُ كيفَ يستردُّ حُبَّ الشعبِ لحاكمِهِ والْتِفافَ رعاياه مِنْ حَوْلِهِ، فأيَّ شخصٍ يختارُ لهذه المُهِمَّةِ الكبيرةِ؟

هذا هو السرُّ في استدعاء فيليبَ لابنِه الاسكندرِ، ليمتحنَ قُدرتَه على القيام بهذه المُهمَّةِ، فلما رأى عزيمةَ الفتى وشجاعتَه ونُضجَ تفكيرِه، أعادَه إلى مَقْدُونيةَ، **وجعلَه وَصِياً،** يتمتَّعُ بِسُلُطاتِ الوصايةِ! وقد استطاع الأميرُ الشابُّ الذي لم يتجاوزِ السادسةَ عشرةَ من عُمرِهِ أن يثيرَ اهتمامَ المقدونيين وحُبَّهم، ويردَّ الأَمَلَ إلى نُفوسِهم، وقد نهضَ الاسكندرُ بِمهمّةِ الوِصايةِ على خيرِ وجهٍ، فَتوطَّدَتْ مكانتُه في النفوسِ، وآمنَ الجميعُ بذكاء الأميرِ اليافعِ، وأعْجِبوا بحكمتِه وحُسنِ تَصرفِه،

وأصبحوا يُصرِّحون بأنَّ **الاسكندرَ فاق أباه!**

وكان الأبُ ما يزالُ في حصارِه لبيرنثيا، وقد سَئِمَ من صُمودِها ولم يتمكَّنْ من إسْقاطها، فانتقلَ عنها إلى بيزنطية، ولكنَّهُ لم يكُنْ أسعدَ حظاً فيها، وبدأ الجُندُ يتذمَّرونَ، فلم يَجِدْ فيليبُ بُدّاً منَ التراجعِ عن بيزنطيةَ، ولِكيْ يَظْهرَ بمظهرِ المنتصر عند عودتِه إلى (بيلّلا) قام بحملةٍ خاطفةٍ على شُطآنِ البحرِ الأسودِ، واندلعتْ في ذلك الوقتِ ثورة بين الميداريين (وهم قبائلُ تعيشُ في الشمالِ الشرقيِّ من مَقدونيةَ) فزحفَ الاسكندرُ على رأسِ جيشٍ من الجُندِ المتعلِّقينَ به إلى مِنْطَقةِ الثائرين وقضى عليهم، **وكانت تلك أولى معاركِ الاسكندرِ المظفرةِ**، وانضمَّ بعدها إلى قُواتِ أبيهِ العائدةِ إلى العاصمةِ المقدونيةِ، وكان فيليبُ قد أصيبَ بِجُرحٍ

في فَخذِهِ، فغدا أعْرَجَ، يسحبُ إحْدىٰ ساقَيْهِ سَحْبا!

وهكذا أظهرَ الاسكندرُ وهو ما يزالُ في السابعةَ عشْرةَ من عُمرِهِ أنَّ باستطاعتِه أنْ يقُودَ جيشاً ويحكُمَ دولةً، وكان على الملكِ فيليبَ وقد غَدَا أعورَ أعرجَ مشلُولَ الكتفِ أنْ يستسلمَ للراحةِ ويَعْهَدَ إلى ابنِه بمُوالاةِ العملِ على توحيدِ البلادِ اليونانيةِ تحتَ سيطرتِه وإعْدادِ الجيشِ الكبيرِ القادرِ على الانقضاضِ على المملكةِ الفارسيةِ وتمزيقِها؛ ولكنَّ الملكَ فيليبَ لم يَشَأْ ذلك، وظلَّ يُعبِّىء الجُيوشَ ليُواجِهَ بها الحِلْفَ الاغريقيَّ الذي كانتْ أثينا تَجْهَدُ لإقامتِه، بتحريضِ خطيبِها **ديموستينوسَ**، للتصدِّي للملكِ المقدونيِّ ومطامِحِهِ، وقد **شهدَ سَهلُ (شيرونيا)** في أواخرِ شهرِ آب عامَ ٣٣٨ ق.م **معركةً فاصلةً** بينَ الجيش المقدونيِّ ـ وكانَ

الاسكندرُ يقودُ فُرسانَه، تحتَ إمْرَةِ أبيهِ، القائدِ العامِّ ـــ وجَيْشِ الحُلفاء الذي تمكّنَتْ أثينا من جَمْعِ عساكرِ الولاياتِ الصغيرةِ فيهِ، وكان النصرُ في المعركةِ للمقدونيين، وأبدىٰ الاسكندرُ مع فُرسانِه شجاعةً بالغةً في هُجومِهم على المُتحالفينَ، حتى تمَّ تمزيقُ صُمودِهم ومُقاوَمتِهم، **وبانتهاء هذه المعركةِ أصبحتْ مقدونيةُ سيدةَ اليونانِ كلِّها**، وأدركَ الجيشُ الظافرُ دَوْرَ الاسكندرِ في تحقيقِ النصرِ، وأصبحَ أفرادُه يُردِّدونَ:

ـ فيليبُ قائدُنا، ولكنَّ **الاسكندرَ ملكُنا الحقيقيُّ!**

وأوفدَ العاهلُ المقدونيُّ ابنَه إلى **أثينا** في سِفارةٍ عنه لِلتّفاوُضِ مع أهلِها، ونجحَ الاسكندرُ في سِفارتِه نجاحاً مَرموقاً، واكتفى فيليبُ بانتزاعِ

المْستعمراتِ الشرقيةِ من يدِ أثينا، وترك لها استقلالها السياسيَّ، وأعادَ تكوينَ الحِلْفِ الاغريقيِّ من جديدٍ، ولكنْ لِحسابِهِ هذه المَرَّةَ، فتشكَّلَتْ رابطةٌ كُبرى من جميعِ المُدنِ الاغريقيةِ، ولِمَقْدُونية في هذا الحِلْفِ مركزُ القيادةِ، وأعْلِنَ أنّه حِلْفٌ دفاعيٌّ، وأنّه سيُتيح لفيليبَ إعْدادَ حملةٍ كُبرى على الامبراطوريةِ الفارسيةِ؛ وبِنجاحِ الاسكندرِ في مُفاوضاتِه للأثينيين قرَّرَ هؤلاء أن يجعلوا فيليبَ مُواطناً أثينياً ويُقيموا له تمثالاً في ساحةِ المدينةِ.

— ٢ —

أحسَّ الملكُ فيليبُ بعدَ انتصارِه على الحِلْفِ الاغريقيِّ بِنَشْوَةِ الظَّفَرِ، ووجدَ نفسَه مُتيَّماً بفتاة حسناء تُدعى **كُليوباطرةَ** كانتِ ابنةَ أخٍ لأحدِ القادةِ واسمُه (**أتالُ**)، وقد عَرَفَتْ هذه الفتاةُ — بِتشجيعٍ من عمِّها — كيفَ تَستميلُ قلبَ هذا المُتيَّمِ الأعورِ الأعرجِ بالتَملُّقِ دونَ أن تستسلمَ له، فازداد بها تعلُّقاً وهُياماً، وانتهى الغرامُ لدى فيليبَ بهذهِ الصبيةِ الفاتنةِ السمراء إلى إعْلانِ قرارِهِ الرسميِّ بِطَلاقِ اولمبياسَ والدةِ الاسكندرِ، والزواجِ من كُليوباترةَ الفاتنةِ، وكانَ إعلانُ هذا القرارِ إهانةً للاسكندرِ وأمِّهِ معاً، وشهدَ البلاطُ مُنازعةً عَلَنيَّةً بينَ

الأبِ وابنِه، وفي حفلةِ الزِّفافِ تبارَى الحاضرونَ في شُربِ الخمرةِ، ووقفَ عمُّ العَروسِ أتّالُ وقد أضاعَ صَوابَهُ من كثرةِ الشرابِ، لِيَصيحَ بأعلى صوتِه:

ـ أضْرَعُ إلى الآلهةِ يا فيليبُ أن تُباركَ قِرانَكَ السعيدَ، وتهبَكَ أخيراً **وارِثاً شَرْعياً لِعَرْشِ مقدونيةَ!**

وكانتْ لطمةً للاسكندرِ الذي قَفَزَ من مجلِسِهِ ورمى رأسَ أتّال بالكأسِ التي في يدِه، وصاحَ مُزَمْجِراً:

ـ أيُّها الكلبُ، أنتَ تحسَبُني ٱبْنَ حَرامٍ إذن!

ولم تُصِبِ الكأسُ رأسَ أتّالَ، ولكنَّ الخمرةَ بلَّلَتْ وجهَه وثيابَه، فهجمَ على الاسكندرِ، ووقفَ المدعوون مَذْعُورينَ، وراحَ بعضُهم يَحْجُزُ بين المُتشاجِرَيْنِ، ووقفَ الملكُ فيليبُ وعينُه الوحيدةُ مُحمرة من السُّكْرِ، وسلَّ سيفَهُ يُريدُ أنْ ينهالَ بِهِ على الاسكندرِ، مُهيباً بالناس أنْ يقتُلُوهُ معهُ! **ووقفَ**

الاسكندرُ يتحدّى أباهُ، وهو لا يستطيعُ بساقِهِ العرجاء أن يَصِلَ إلى ابنِهِ، ولَمْ يَستطعْ أن يتماسَكَ وهو يتخبَّطُ في موقفِه لِشِدَّةِ سُكْرِهِ، فسقطَ على الأرضِ، ورانَ على الحُضورِ صمتٌ رهيبٌ، وانطلقَ صوتُ الاسكندرِ ساخراً:

ــ يا أهلَ مقدونية انظُروا جَيِّداً، فهذا هو الرجلُ الذي يُريدُ أن يَعْبَرَ بِكُمْ مِنْ أوربةَ إلى آسيةَ، وهو لا يَقْوىٰ على العُبورِ من مَقْعَدٍ إلى مَقْعَد دونَ أن يَسْقُطَ!

وخرجَ الاسكندرُ لِتوِّه من القاعةِ، وأسرعَ إلى اللحاقِ بأمِّه، وقد هيّأَ لها السفرَ إلى مملكةِ آبيرا، ولم يَجِدْ خيراً لِنَفْسِهِ من أن يَصْحبَها إلى مملكةِ خالِه، وقد أصبحَ شريداً، وفي قلبِه جراحٌ تَنْزِفُ، وهو يَأْمُلُ أنْ يستثيرَ خالَه ملكَ آبيرا للانتقامِ لشرفِ الأُسرةِ،

ولكنَّ خالَهُ كانَ رجلاً مُسالماً فاكتفى باحتجاجٍ على ما أصابَ أختَه وابنَها من أذىً وَجَوْرٍ، ولم يُحرِّكْ ساكناً! وبعد فترةٍ سعى الملكُ فيليبُ إلى استرضاء ولدِه ومُصالحتِهِ، فعادَ الاسكندرُ وأمُّه إلى العاصمةِ المقدونيةِ بشروطٍ وافقَ عليها فيليبُ، وبذلكَ احتفظتْ أولمبياسُ بكَرامتِها بصِفتِها ملكةً سابقةً دونَ حقِّها كزَوْجةٍ، بَلْ كَأمٍ للأميرِ ووليِّ العهدِ، وكانَ ذلك عامَ ٣٣٦ ق.م، ولم يَبْلُغِ الاسكندرُ بعدُ العشرينَ من عُمرِه.

والحقُّ أَنَّ المُصالحةَ لم تَستطعْ أن تُعيدَ الثِّقَةَ بينَ الأبِ وابنِهِ، وكانَ الملكُ فيليبُ يُوالي الإعدادَ لِلْحَمْلَةِ الشَّرْقيَّةِ دونَ أَنْ يَعهدَ إلى الاسكندرِ بِعَمَلٍ فيها، وأحسَّ الأميرُ بإهمالِ أبيهِ له، فازدادَ ارتيابُه بعزمِ أبيهِ على حِرْمانِهِ من ولاية العَهْدِ، ورُزِقَ

فيليبُ من زوجتِهِ الثانيةِ غُلاماً، فأصبحَ للاسكندرِ مُنافِسٌ حقيقيٌّ على عَرشِ مقدونيةَ، وأصبحَ أتّالُ عمُّ الملكةِ كُليوباترةَ يتمتّعُ في بيللا بنُفوذٍ كبيرٍ، وقدِ اعْتدى يوماً على رَجُلٍ من رِجالِ الحاشيةِ اعتداء شائناً، فشكا الرجلُ ما أصابَه إلى الملكِ فيليبَ، فأهملَ الملكُ شكواهُ، فأَضْمَرَ له الشَّرَّ، وأمَرَ فيليبُ بإقامةِ مِهْرجاناتٍ للاحتفالِ بتزويجِ ابنتِه كُليوباترةَ – أختِ الاسكندرِ – من خالِها اسكندروسَ ملكِ أبيرا، وأرادَ أن تكونَ مِهرجاناتٍ باذِخَةً، يَعرضُ فيها عاهلُ مقدونيةَ قُوّتَهُ، استعداداً لِحملةِ آسيةَ المُقبلةِ، وخلالَ هذهِ الاحتفالاتِ الحاشدةِ تمكّنَ رجلُ الحاشيةِ الحاقدُ على فيليبَ من اغتيالِهِ، ولقيَ القاتلُ مصرَعَهُ على أيدي الحُرّاسِ.

وهكذا تولّى الاسكندرُ عَرْشَ مقدونيةَ في

أواخرِ شهرِ تَمُّوز من عامِ ٣٣٦ ق.م، وهو في العشرينَ من عُمره، والتفَّ حولَه رفاقُه من أولادِ النُّبلاء الذينَ نَشَأوا مَعَه في مدرسةِ أرسطو، ليُعاونُوهُ في دَعْمِ دولتِه وتنظيمِ جُنْدِه ومُتابعةِ الإعدادِ لِلحَمْلَةِ الآسيويةِ التي غَدَتْ هدفَه الأكبرَ.

ويذكرُ المؤرخونَ أن الفترةَ التي شَهِدَتْ تَوَلّيَ الاسكندرِ وقَبْضَهُ على أعِنَّةِ الأُمورِ، شَهِدَتْ أيضاً أحداثاً داميةً تَمَّ خلالَها **الفتكُ بالمُرشَّحين لِلْعَرشِ**، بحيثُ خَلا المجالُ للاسكندرِ لِيَشُقَّ طريقَهُ إلى تحقيقِ آمالِه الكبيرةِ.

الباب الرابع

الحملة على الامبراطورية

الفارسية

٣٣٥-٣٢٧ ق.م

— ١ —

كانَ على الاسكندرِ أن يَقْضِيَ السنةَ التي تَلَتْ وُصولَه إلى العرشِ في حُروبٍ مُستمرةٍ في بلادِ اليُونانِ والبَلْقانِ لِتَوْطيدِ دعائمِ سُلطانِهِ وزَعَامَتِهِ، ولِلقضاء على تمرُّدِ القبائلِ التي ظنَّتْ أنَّ قَبضةَ الملكِ الشّابِ ليستْ عنيفةً كقبضةِ أبيهِ، وقد عَمَدَتْ بعضُ الولاياتِ إلى طرْدِ الحاميةِ المقدونيةِ وأَعْلَنَتِ العِصيانَ والتمرُّدَ، ولكنَّ الاسكندرَ أسرعَ إلى تَطويقِ الولاياتِ المُتمرِّدةِ بنفسهِ، وعندما قَدَّمَتْ إليه خُضوعَها أظهرَ لها كُلَّ تسامُحٍ، وأَعْلَنَ أنَّ على الولاياتِ التي احتفظتْ باستقلالها الذاتيِّ أن تَظَلَّ على ما هيَ عليهِ، وأن تُزَوِّدَ حَمْلَةَ آسيةَ بالحِصَّةِ

المُتَّفَقِ عليها سابِقاً منَ العساكرِ والأَعْتِدَةِ والمُؤنِ.

وعندما عادَ الاسكندرُ إلى عاصمته **بيللا** انكبَّ على تنظيمِ حملةِ آسيةَ، وكانتْ خزينةُ الدولةِ في عَجْزٍ، لأنَّ إسْرافَ الملكِ فيليبَ وبَذْخَهُ خَلَّفا لِوَرِيثِهِ الدُّيونَ، فعملَ الاسكندرُ على تَلافِي العَجْزِ ودفع الدُّيونِ وتدبيرِ المالِ اللازمِ لِتَجهيزِ حَمْلَتِهِ، وجاءتْهُ الأخبارُ باضطرابِ القبائلِ في الشمالِ فسارَ إليها على رأسِ جيشٍ من ثلاثينَ ألفَ مُقاتلٍ، وسحقَ تلكَ القبائلَ البربريةَ سَحْقاً، وعَبَرَ بِقُوّاتِهِ نهرَ **الايستر** (الدانُوبِ) إلى الضِفَّةِ الأُخرى، وكانَ انتصارُه ساحِقاً وسريعاً، ارتدَّ بعدَهُ إلى مُداهمةِ قُوّاتِ مَلِك (أيلليريا) التي كانت تَنْوي الزحفَ على (بيللا) في غيابِ الاسكندرِ عن عاصمتِهِ، ثُمَّ حاصرَ مدينةَ (**طِيبةَ**) التي رفضَ أهلُها الاستسلامَ، وأعلنُوا أنهم

خُلفاء رسميُّونَ لِلْفُرسِ، فانقضَّ جيشُ الاسكندرِ على المدينةِ، واقْتَحَمُوا أبوابَها، وكانتْ مجزرة رهيبةٌ قُتلَ فيها عَشرةُ آلافِ طِيْبي، وأسِرَ خمسونَ ألفاً منهم بِيعَ بعضُهم عَبيداً، ولم يَنْجُ المرضى والنساء من الذَّبْحِ، واضمحلَّ شعبُ طِيبةَ عن بُكْرَةِ أبيهِ! ثُمَّ عَمَدَ جُنودُ الاسكندرِ إلى دَكِّ المدينةِ وإحْراقِها ولم يتركُوا منها غيرَ المعابدِ وبيتِ **الشاعرِ بُنْدارَ**، وتَحوَّلتِ المدينةُ إلى أنْقاضٍ.

كان تدميرُ طِيبةَ إنْذاراً لِغَيْرِها من المُدنِ الإغريقيةِ، فأسرعتْ تُقدِّمُ للعاهلِ المقدونيِّ خُضوعَها، وكانتْ **أثينا** في المُقَدِّمةِ، وهكذا تَمَّ للاسكندرِ الذي لم يتجاوزِ الواحدةَ والعشرينَ من سِنيه إخضاعُ المُدنِ اليُونانيةِ لزعامتِهِ، وقد امتلأتْ نُفوسُ أهليها رَهْبَةً من نِقْمتِهِ وجَبَروتِهِ، واستسلمتْ

لإرادتِهِ، فانصرف الاسكندرُ بِكُلِّ همَّتِهِ إلى إتمام استعدادِه لِحَمْلتِه الكُبرى على آسيةَ.

كانَ جيشُ الحملةِ يَضُمُّ رفاقَ الاسكندرِ في مدرسةِ أَرسطو، وقد أصبحَ جميعُهم نُقَبَاء، وهم في العشرينَ من أعمارِهم، مثلَ عاهِلهم وزعيمِهم الاسكندرِ، وقد عَمَدُوا إلى حَلْقِ لحاهم كالاسكندرِ، واستعدُّوا للسيرِ تحتَ قيادتِه لِفَتْحِ العالَمِ!

ويُقَدَّرُ جيشُ الحملةِ **بخمسةٍ وخمسينَ ألفاً** من المُحاربينَ، وكان القائدُ العجوزُ **(بارمينيونُ)** يتولَّى إصْدارَ الأوامرِ بعدَ الاسكندرِ، وهو واحدٌ من ضُبّاط الملكِ فيليبَ، ولهُ تجاربُ كثيرة في خوضِ المعاركِ والحُروبِ، ومعهُ وَلَداهُ، ابنُه البِكْرُ **(فيلوتاسُ)**، وكانتْ له قيادةُ فَيْلَقِ المُشاةِ المَقدونيِّ، وابنُه الثاني **(نيكانور)**، وكان يقودُ جُنودَ المشاةِ من ذَوي

السّلاحِ الخفيفِ؛ وعَهِدَ الاسكندرُ إلى شقيقِ مُرْضِعَتِهِ الضابطِ (**كليْتُوسَ الأَسْوَدِ**) بقيادةِ الرفاقِ النُّبلاء في حَرَسِ الفُرسانِ، وكان في زُمرةِ ضَبَّاطِهِ عَدَدٌ من الرجالِ المُتَمَرِّسينَ بالحُروبِ، الذينَ صحِبُوا الملك فيليبَ في كثيرٍ من حُروبِهِ ومَعارِكِه.

وأعدّ الاسكندرُ جِهازَ تَموينٍ وذَخيرةٍ لجيشِ الحمْلةِ يكفي لشهرٍ واحدٍ، وهو يُواجهُ افتتاحَ **آسيةَ الصُّغرىٰ ومِصْرَ**، ليكونَ الجيشُ خفيفَ الحركةِ قادراً على التنقّلِ السّريعِ، وفي ربيعِ عامِ ٣٣٤ ق.م بدأتْ حمْلةُ آسيةَ التي طالَ انتظارُها.

— ٢ —

كانَ والِدُ الاسكندر، الملكُ فيليبُ يَحلُمُ بِغَزْوِ **فارِسَ،** للانتقامِ من الفُرسِ الذين كانُوا قبلَ قَرْنٍ ونصفٍ من الزمانِ غَزَوْا مَقْدُونيةَ واليونانَ وأَحْرَقُوا مدينةَ أثينا، وكانُوا لا يَتَهَيَّبُونَ دائماً من إظْهارِ عِدائِهم، لأنَّ **الامبراطوريةَ الفارسيةَ كانتْ أكبرَ ممالكِ العالمِ،** وفي السنة التي وَليَ الاسكندرُ فيها عرشَ مَقْدُونيةَ تُوِّجَ فيها **دارا الثالث (داريُوسُ الثالثُ)** ملكاً على فارسَ، وكانتْ جيوشُ امبراطوريتِهِ الواسعةِ تَضُمُّ مائتي ألفِ مُقاتلٍ من آسيةَ الصُّغْرى، وتِسعينَ ألفاً من أرْمينيةَ وكيليكيا وسوريةَ

ومِصْرَ. ومِثْلُهم من المُرتَزِقَةِ الأغارقةِ. وقدْ قِيل إنَّ في استطاعةِ دارِيُوسَ أن يُجنِّدَ مليونَ مقاتلٍ من الهندِ، فالامبراطوريةُ الفارسيةُ كانتْ تُهَيْمِنُ على تلك البلاد كلِّها. ولم يَكُنِ الاسكندرُ دونَ أبيهِ طُموحاً إلى غزْوِ فارسَ والانتقام من الفُرسِ، وهو الذي لا يَجْهَلُ أنَّ دارِيُوسَ كان يَتَحَيَّنُ الفُرَصَ ليُهاجمهُ علانيَةً. وقد ساعدَ الولاياتِ الاغريقية وحرّضها على الثورةِ على الاسكندرِ، وعلى رَفْضِ التّبعيّةِ للمملكةِ المقدونيةِ.

وفي ربيع عامِ ٣٣٤ ق.م **عَبَرَ الاسكندرُ بجيشِهِ مضيقَ الدَّرْدَنيلِ إلى آسيةَ**، وكان عُمرُه يومذاك واحداً وعشرين عاماً وتسعة أشهرٍ، وعندما بلغ نبأ عُبورِهِ أسماعَ دارِيُوس ملكِ الفُرسِ. وهو في عاصمتِهِ البعيدةِ «**سُوسَةَ**» لم يكْتُمْ سُخريته بهذا

الفتى اليافع المَغْرورِ وتَهَوُّرِهِ، ولم يَتَعَجَّلْ إرسالَ جيشِهِ لِلتصدِّي له، وكانت خُطـَّةُ الفُرسِ التَّقَهْقُرَ أمامَ الاسكندرِ معَ إتْلافِ كُلِّ شيءٍ يَستطيعُ أن يستفيدَ الغازي منه: فالأرضُ تُحرَقُ أمامَ الغازي، وتُدمَّرُ الغِلالُ، وتُسَدُّ الآبارُ، وتُؤخذُ المواشي، لِيَهْلِكَ الغُزاةُ عَطَشاً وجُوعاً وتَعباً، قبلَ أن تقعَ المعركةُ الفاصِلَةُ التي يتمُّ فيها الإجهازُ عليهم في نِهايةِ الزَّحْفِ، وهكذا استطاعَ الاسكندرُ أن يَجْتاحَ البلادَ ويسيطرَ دُونَ مُقاومةٍ تُذْكَرُ على الشاطىء الآسيويِّ المُقابلِ لبلادِ اليُونانِ، واعترضَ بعضُ مرازبةِ الفُرسِ على خُطـَّةِ التقهقرِ ورَأَوْا أنَّ عددَ العساكرِ المقدونيةِ المزيلَ لا يُبَرِّرُ الاقدامَ على مثلِ تلكَ الخُطةِ، والتضحيةَ التي تَتَطلَّبُها، فصدرَ الأمرُ للجيشِ الفارسي بانتظار الغُزاةِ لدى عُبورِهم أوَّلَ

نهرٍ، وهو نهرُ الغرانيق (غرانيكوس).

غير أن الاسكندرَ الذي كان يعتمدُ على خِفَّةِ الحركةِ والتنقُّلِ السريعِ في جيشِهِ تمكَّنَ منَ الوُصولِ إلى ضفافِ الغرانيقِ بعدَ خمسةِ أيامٍ من بدايةِ الغزْو، ليَشهدَ جحافلَ الجيشِ الفارسي مُتَجَمِّعَةً على الضِّفَّةِ الأخرى، ولم يُضِعِ الاسكندرُ الوقتَ فأصدرَ الأمرَ بعُبورِ النهرِ، وتقدَّمَ الجموعَ من الفُرسانِ، وهو على ظهرِ جَوادِهِ بُوسيفالَ، وانطلقَ في النهرِ، ومن خلفِهِ الجُموعُ الزاحفةُ، حتى بلغَ الضفةَ الأُخرى وشقَّ لنفسِهِ الطريقَ بسيفِهِ نحوَ الكتيبةِ التي تَجَمَّعَ فيها أمَرَاء الفْرسِ، وفيهم صِهْرُ داريوسَ وعددٌ من أقاربِه، والتحمتِ الجموعُ عندما كانتْ كتائبُ المْشاةِ المقدونيين بقيادة فيلوتاسَ ونيكانورَ قد بلغتِ الضفةَ، وانهالت منها الحِرابُ تَفْتِكُ بالفُرسِ، **وقد**

تعرَّضَ الاسكندرُ لِلموتِ أكثرَ من مَرَّةٍ، وكا
خِنْجَرُ واحدٍ من أمراء الفُرسِ أن يَغُوصَ في رأسِه
لولا إسراعُ كليتوسَ شقيقِ مُرْضِعةِ الاسكندرِ إلى
حِمايةِ العاهلِ المقدونيِّ، فأطاحَ بِضَرْبةٍ من سَيْفِهِ
بذِراعِ الفارسيِّ صاحبِ الخِنْجَرِ، ورأى الفُرسُ
تراجُعَ فُرسانِهم وسُقوطَ أمرائهم، فازدادَ اضطرابُهم،
وعمَّهُم الذُّعْرُ واسْتَسْلَمُوا لِلفرارِ، وطارَدَهم
المَقْدُونيّونَ وأعْملوا في الهاربينَ سَحْقاً وقَتْلاً،
وتَحَوَّلَتْ ساحةُ القِتالِ إلى مَذْبَحةٍ وقد غطّاها الدَّمُ،
وملأتِ الجُثَثُ سَهْلَ الغرانيقِ وتَمَّ النصرُ للاسكندرِ
الذي أمَرَ بِنَزْعِ ثلثمائةٍ من أجْمَلِ الدُّروعِ الفارسيةِ
عن صُدورِ لابسيها من القتلى، وإرسالِها إلى أثينا
مع البِشارةِ بِالنَّصْرِ؛ وبعدَ هذهِ المعركةِ أخذتْ
مستعمراتُ الساحلِ الاغريقيةُ التي كانت تُؤدّي

الجِزْيَةَ لِلْفُرسِ، تستقبلُ الاسكندرَ وجيشَه استقبالَ المُنْقِذينَ المُحرِّرينَ.

وتـابَـع الاسـكـنـدرُ الـزَّحْـفَ على **(ايفـيـزا)** و **(مـيلـيـت)** و **(هـاليكارناسَ)** وراحتِ المُدنُ تستسلمُ إليه دُونَ مقاومةٍ، حتى وصلَ إلى مدينة **(غورديونَ)** وفي مَعْبَدِها رأى تلكَ **العُقدةَ** التي كانتِ الأُسطورةُ تزعُمُ أنَّ مَنْ يَحُلُّها لا بُدَّ له من أن يحكمَ آسيةَ كُلَّها! ولم يُضِعِ الفاتحُ الشابُّ لحظةً في مُحاولةِ حَلِّ العُقدةِ المُسْتَعْصِيَةِ، فاستلَّ سيفَهُ وقَطَعَ حِبالَ العُقدةِ بضربةٍ واحدةٍ! وأصبحَ المثلُ السائرُ يقولُ: **قَطَعَ فلان العُقدة الغُورديَّةَ!** إذا أفلحَ في حَلِّ مُشكلةٍ صعبةٍ ومُعَقَّدةٍ.

كانَ الاسكندرُ يَتَعجَّلُ الزَّحْفَ، وهمُّه أن يُلاقيَ داريوسَ في معركةٍ فاصلةٍ، وقد اتَّجهَ في زَحْفِهِ

أوّلاً بِطَريقِ أَنْقِرَةَ، ثُمَّ اتّجَهَ نحو الجنوبِ عَبْرَ جبالِ **طُوروسَ،** حتى بلغَ مدينةَ **طَرْسُوسَ** على الساحلِ، وهناكَ داهمتِ الحُمّى الاسكندرَ بعد سباحتِهِ في نهرِ طَرْسُوسَ فاَضْطرَّ إلى الاستراحةِ والاستشفاء مُدة استغرقتِ الصيفَ كلَّهُ، ويتناقلُ المؤرخونَ خبرَ حادثةٍ طريفةٍ وَقَعَتْ للاسكندرِ مع طبيبه يومَذاكَ، فَدلَّتْ على أخلاقِ الفاتحِ الكبيرِ: فقد تلقّى الاسكندرُ تحذيراً بأنَّ داريوسَ رَشَا هذا الطبيبَ لِيَفْتِكَ بالاسكندرِ ويَسُمَّهُ، وجاء الطبيبُ يحملُ كُوبَ الدواء إليه، فدفع الاسكندرُ الرسالةَ التي فيها التحذيرُ إلى الطبيبِ، وشربَ الكُوبَ دفعةً واحدة، لِيُثْبتَ لِطَبيبه أنّه لا يَزالُ على ثِقتِه بهِ!

وفي نهايةِ شهرِ أَيْلُول من عامِ ٣٣٣ ق.م تابعَ الاسكندرُ زحفَه الكبيرَ نحو الجنوبِ في مُحاذاةِ

الساحلِ، عندما حُمِلَتْ إليه الأخبارُ بأنَّ داريُوسَ يَزْحَفُ وراءه من الشّمالِ بجيشٍ لَجْبٍ يُقَدَّرُ عددُه بمائةٍ وستينَ ألفَ مُقاتلٍ: تتمثَّلُ فيه جميعُ شُعوب الامبراطوريةِ الفارسيةِ، وكانتِ الصُّفُوفُ المتراصَّةُ من الأُمراء من أقرباء الملكِ الفارسيّ تُحيطُ بعَرَبتِهِ الملكيةِ، ومن ورائها عَرَبه أمّهِ وعَرَبَةُ امرأتِهِ اشتاتيرا وعددٍ كبيرٍ منَ المَحْظِيّاتِ والأميراتِ!

ثم وصلتْ أخبارٌ أخرى إلى الاسكندرِ عَلِمَ منها أن حرسَ المُؤخرةِ في جيشِهِ، وكانَ تركَهُ خلفَهُ في مكانٍ يُدعى **«ايسّوسَ»** يقعُ قُربَ الساحلِ الذي تتصلُ عندَه تُركيةُ بسُوريةَ اليومَ، قد داهمَتْهُ طلائعُ الجيشِ الفارسيّ وفتكتْ بأفرادِه ذَبْحاً وتقتيلاً، فأصدَرَ الاسكندرُ الأمرَ بأنْ يتوقفَ الجيشُ ويستعدَّ لِلهجوم على الفُرسِ في كَرَّةٍ مُفاجِئةٍ، خِلافاً لرأيِ

قائدِه العَجوزِ (بارمينيونَ) الذي كان يُريدُ أن يصلَ إلى السُّهولِ الواسعةِ لِيتمركزَ فيها وينتظرَ وصولَ الجيشِ الفارسيِّ إليها، أمَّا الاسكندرُ فكانَ يُريدُ أن يَنْقَضَّ على داريُوسَ انقضاضاً مُفاجئاً ويُحاصِرَ جيشَه في مَرْجٍ ضَيِّقٍ، في حينَ يكونُ القسمُ الأكبرُ من ذلكَ الجيشِ مُثْقَلاً بالنِّساء والعَتادِ!

وهكذا شهِدَ سهلُ (ايسّوس) الضيقُ، الواقعُ بينَ الجبلِ والبحرِ **الموقعةَ الكبيرةَ الفاصلةَ بين الاسكندرِ المَقْدونيِّ وداريُوسَ الثالثِ ملكِ الفُرسِ**، في الثاني عشرَ من تشرينَ الثاني عام ٣٣٣ قبلَ الميلادِ، وكانتْ معركةً ضاريةً، انتهتْ بهزيمةِ الفُرسِ وانتصارِ الاسكندرِ عليهم، وهربَ داريُوسُ شَرْقاً، بعد أنْ خَلَّفَ أُمَّه وزوجتَه وبناتِهِ للأَسْرِ، فأمرَ الاسكندرُ بإحْسانِ مُعاملتِهنَّ، كما أمرَ بتأسيسِ

مدينةٍ تحملُ اسمه في مكانِ المعركة تخليدا لانتصاره فيها، فأنْشِئتْ مدينةُ الاسكندريةِ التي أطلِقَ عليها بعد ذلك اسمُ **(الاسكَنْدَرُونِ)**.

وعلِمَ الاسكندرُ بعدَ المعركةِ أنّ داريوسَ كانَ قد تركَ في **دمشقَ** كثيراً من أموالِهِ وعَتادِهِ الحربيِّ، فأمرَ قائدَه (بارمينيون) أنْ يتقدَّمَهُ للزحفِ عليها، فأسرعَ القائدُ العجوزُ على رأسِ قِطعةٍ من الجيشِ للاستيلاء على دمشقَ وكُنوزِ الملكِ الفارسيِّ فيها، وتمَّ أسرُ عددٍ كبيرٍ آخرَ من نِساء البَلاطِ في دمشقَ، وكانتْ بينَهُنَّ امرأة في الثامنةِ والعشرينَ، تُدعى **بَرْسِينَ**، وهي ابنةُ أميرٍ من الأمراء من الأُسرةِ المالكةِ الفَارسيةِ، وأرملة واحدٍ من كبارِ قادةِ الجيشِ الفارسيِّ، وقد أحبَّها الاسكندرُ وتزوَّجَها، وتابعَ جيشُه الزحفَ على مُدنِ الساحلِ، وراحتْ أكثرُها

تَستسلمُ دُونَ مُقاومةٍ: جُبَيْلُ وصيدا وغيرُهما، حتى وصلَ إلى صُورٍ التي حاصرها الاسكندرُ ستةَ أشهرٍ، وعانى من مُقاومةِ أهلِها وبَسَالتِهم، إذ كانوا ينتظرون النجدةَ من قَرْطَاجَةَ، ولم يكُنْ لدى الاسكندرِ أسطولٌ قويٌّ يَحُولُ دونَ وُصولِ النَّجَداتِ إليها، فلما تمكَّنَ منها واستولى عليها انطلَقَ جنودُ مقدونيةَ الغاضِبونَ يُدمِّرُونَ المدينةَ عقاباً لِتَحَدِّيها للفاتحِ المقدونيِّ، **وبعدَ سُقوطِ صُورٍ أصبحَ الطريقُ إلى مصرَ مفتوحاً أمامَ جيشِ الاسكندرِ.**

ـ ٣ ـ

بعدَ سُقوطِ مدينةِ **غَزَّةَ** واستسلامِ **أورشَليمَ** (القُدْسِ) أمامَ الفاتحِ المَقْدونيِّ، تابعَ الاسكندرُ الزحفَ على مِصْرَ بجَيْشَيْهِ البَرِّيِّ والبَحْريِّ، وكانتْ مِصْرُ قد سَقَطَتْ في يدِ الفُرسِ قبلَ قُرابةِ عَشْرِ سَنَواتٍ، وهربَ فِرْعَوْنُها إلى أرْضِ الحبشةِ حيثُ ضاعَ أثَرُهُ، واستولى الفُرسُ على دَلْتا النيلِ وأذلُّوا النّاسَ والكهنةَ فيها، ولهذا **استقبلَ المِصريونَ قاهِرَ الفُرسِ بالفَرْحةِ وعدُّوهُ مُحَرِّراً لهم**، واستقرَّ الاسكندرُ في مدينةِ **(مَمْفِيسَ)** وتلقّاه الكهنةُ مُسْتَبْشِرينَ، وأذاعُوا في النّاسِ أنَّ الاسكندرَ هو الفِرْعَوْنُ المَوْعُودُ والمُنتظَرُ، وكرّسُوهُ فِرْعَوْناً على مِصْرَ

وَسْطَ الترانيمِ والطُّقوسِ الدينيةِ، وتَوَّجُوهُ بتاجِ الفَراعِنَةِ ورَكَعُوا وسَجَدوا لهُ، وحَمَلُوه في المِحَفَّةِ الملكيةِ على أكتافِهم، وقَدَّمُوه إلى الشعبِ «إلٰهاً حَيّاً» وابناً لآمُونَ إلهِ المصريينَ، وخلّد الاسكندرُ مجدَهُ العظيمَ في مِصْرَ بتأسيسِ مدينةِ الاسكندريةِ التي حَمَلَت اسْمَهُ، وأراد لها أن تُصبِحَ عاصمةَ البحرِ الجديدةَ بعدَ تدميرِ جُنْدِهِ لمدينةِ صُورِ البائسةِ.

واصطحبَ الاسكندرُ عدداً من رفاقِه، وسارَ على الساحلِ نحوَ الغربِ أياماً، حيثُ لقيَ مندُوبينَ عن مدينةِ **بُرقَةَ**، وقد أقبلوا يحملون إليه خُضوعَ البلادِ التي تمتدُّ حتى أرضِ قَرْطاجةَ، ثم اتّجهَ بعدَ ذلك جنوباً إلى واحةِ **سِيوَةَ** في الصحراء، فزار معبدَها وتلقّاه كهنةُ المعبدِ بالركوعِ، وحَيَّوْهُ باسم أبيه الإله آمُونَ، ويُقالُ إن الاسكندرَ دعا الكاهنَ الأكبرَ

ليسمع من فمِه النُّبوءة التي ينتظرُ إعلانها:

ــ «هل يُمَلِّكُني آمونُ امبراطوريةَ العالمِ!»

وما كان للكاهنِ الأعظمِ إلاّ أن يُجيبَ:

ــ «لا ريبَ ــ يا بُنيَّ ــ في أن آمُونَ سيجعلُ منكَ سيِّدَ امبراطوريتِهِ!»

وعاد الاسكندرُ من واحةِ سيوةَ وقد ازدادَ طُموحُه وقويتْ عزيمتُه على مُوالاةِ الفُتوحاتِ للاستيلاء على العالم!

وقضى الاسكندرُ في مصرَ ثمانيةَ أشهرٍ، حتى ربيع عامِ ٣٣١ ق.م، واهتمَّ بتنظيمِ البلادِ وتعيينِ الوُلاةِ الاداريينَ والعسكريينَ لِكُلِّ مِنطَقةٍ، وأمرَ بترميمِ الأَقْنيةِ وبناء جسرٍ على النيلِ، ولم يَغْفُلْ عن تَفَقُّدِ عمالِ البناء في مدينتِه (**الاسكندريّةِ**)،

وبَعَثَ بِحَمْلَةٍ عسكريةٍ إلى **السُّودانِ**، وكان يعملُ بِهِمَّةٍ أدهشتْ رفاقَه من قادةِ الجيشِ، وهم الذين كانوا ينظرونَ في دهشةٍ بالغةٍ إلى تكريس الكهنةِ المصريينَ لعاهِلِهم فِرْعَوْناً وإعلانِه ابناً لإلهِهم آمُونَ؛ وسَخِرَ بعضُهم من ذلك كُلِّه!

وجاءت الأنباء إلى الاسكندرِ بأن داريُوسَ قد جمَّعَ في الشرقِ قُوَّاتِهِ من جديدٍ، استعداداً لجولةٍ ثانيةٍ في التصدّي للفاتحِ المقدونيِّ، فلم يجدِ الاسكندرُ بُدّاً من مُغادرةِ مِصْرَ، وقد **ودَّعَ الكهنةُ في ممفيسَ فرعونَهم الجديد وداعاً حافلاً**، داعينَ له بالنَّصْرِ، وسلكَ الاسكندرُ طريقَ الساحلِ إلى صُورٍ، المدينةِ التي دمَّرَها، وكانَ الجيشُ مُتلهِّفاً لِمُنازَلَةِ الفُرسِ، وكانَ على الاسكندرِ أنْ يَجدَّ في سَيْرِهِ ليقطعَ صحراء **سُوريَةَ**، ويَعْبُرَ **نهرَ الفُراتِ**

ويخوضَ نهرَ دِجْلَةَ في زحفٍ مُتواصلٍ قبلَ أن يَلْحَقَ بِحُشودِ الجَحافلِ الفارسيةِ المُتَجمِّعَةِ على الضفَّةِ الثانيةِ لِدِجْلَةَ. وقد سمح الاسكندرُ لجنوده بالراحةِ والطعامِ والنومِ قبلَ أن يَبْدأَ المعركةَ، في حينَ ظلَّ الفُرسُ طَوالَ ليلةِ المعركةِ مُدَجَّجينَ بأسلحتِهم، وهم جائعونَ مُتْعَبُونَ، يترقَّبونَ هُجومَ أعدائِهم في كلِّ لحظةٍ لِما كانوا يَعهدونَ من مُسارعةِ الاسكندرِ إلى الالتحامِ في المعاركِ لِكيلا يترُكَ لِخصمِهِ فُرصةً، مُستفيداً من عُنصُرِ المُفاجأةِ، ولكنَّ الاسكندرَ ـ خِلافاً لعادتِه ـ لم يَشُنَّ الهُجومَ، وتَريَّثَ ليستطلعَ حقيقةَ قُوّةِ خَصْمِهِ، ويَدْرُسَ مَيْدانَ المعركةِ ويرسُمَ خُطَّتَها، وحملتْ إليه الأخبارُ أن **داريوسَ قد جهَّزَ للمعركةِ مائتي عَرَبةِ قتالٍ من ذَواتِ الدواليب المُسلَّحة بمناجلَ طويلةٍ دَوَّارَةٍ،**

واصطحبَ خمسة عشر فيلاً شوهدتْ في عدّتِهِ الحربيةِ، وكانَ مِنْ رأيِ القائدِ المقدونيِّ العجوزِ بارمينيون أن يكونَ الهجوم أثناء الليلِ، ولكن الاسكندرَ أصرَّ على أن تبدأ المعركةُ فجرَ اليومِ التالي.

وقعتِ المعركةُ في تشرين الأول عام ٣٣١ ق.م وكان الاسكندرُ خلالَها يتقدَّمُ نحو داريُوسَ وفِيَلَتِهِ، ولكن الملكَ الفارسيَّ عندما رأى رُجحانَ كِفَّةِ المقدونيينَ انسلَّ من عربتهِ، كما فعلَ في معركةِ ايسّوس، وركبَ حصاناً ونجا بنفسِه، فلحقَ به الاسكندرُ مع كوكبةٍ من رفاقِه الفرسانِ، حتى بلغوا المُعسكرَ الفارسيَّ في **(أرْبيلَ)** حيث وجدوا كُنوزَ الملكِ وخدَمَهُ ونِساءهُ، ولكن داريوسَ هربَ مع ابنِ عمِّه باسوسَ وبعضِ فرسانِهِ نحوَ الشرقِ، **ودخل**

الاسكندرُ مدينةَ (بابِلَ) كمحرِّرٍ لا كفاتِحٍ، وقد حَرَّم على جُنوده نَهْبَ المدينةِ والاعتداء على سُكّانِها، **وتُوِّجَ الاسكندرُ في (بابل)** كما جرى تَتْويجُه في (مَمْفِيسَ) **وقد غدا زعيمَ اغريقيةَ وفِرْعَوْنَ مِصْرَ وملكَ بابِلَ!** غيرَ أن داريوسَ ما يزالُ يستثيرُ قُواتِه في الشرقِ لحربِ الاسكندرِ، وعلى الفاتحِ المقدونيِّ أن يلحقَ به إلى **عاصمته الثانيةِ (سُوسَةَ)**، فلما استسلمتْ له، تابعَ الزحفَ نحو **(فرسبوليسَ) عاصمةِ داريوسَ الثالثةِ**، مُتعجِّلاً الفتحَ، فلمّا دخلَها بعدَ أن تحمَّلَ أهوالَ الطريقِ الجبليِّ إليها أباحَها لِجُنودِهِ، فلم يَنْجُ سكانُها من الذَّبْحِ إثْرَ سُقوطِها، باستثناء عددٍ ضئيلٍ منهم، وسالتِ الدّماء أنهاراً، ووصلَ الاسكندرُ إلى قَصْرِ الملك في المدينةِ على قنطرةٍ من جُثَثِ القتلى! وكانتِ المدينةُ قد

أحرقتْ وخُرِّبَتْ ودُمِّرَتْ، وكانَ القائدُ المقدونيُّ العجوزُ بارمينيون يستنكرُ التخريبَ دونَ جَدْوىٰ، فيُجيبُه الاسكندرُ:

ــ لِيَتِمَّ تَدْميرُ كُلِّ شيء، **فتاريخُ فارسَ ينبغي أنْ يَعُودَ فيبدأَ بي مِنْ جديدٍ!**

وأَغْرَقَ الاسكندرُ جُنودَهُ بالذَّهَبِ والهدايا، فانتشرتْ في أوساطِهم عادةُ البَذْخِ والتَّرَفِ، وتابعَ الجيشُ المقدونيُّ زَحْفَهُ نحوَ **أقبطانَ** (هَمَدانَ) **عاصمةِ داريوسَ الرابعةِ** حيثُ لجأَ العاهلُ الفارسيُّ، وقد وصلَ الاسكندرُ إليها في آخرِ الربيع من عام ٣٣٠ ق.م ليجدَها مدينةً خاليةً مُسْتسلِمةً، ولِيَعْلَمَ أنَّ الملكَ الفارسي قد انسحبَ منها إلى أراضي ابنِ عمِّه باسوس في **بقطر** (أفغان الشمالية)، وبدأ القلقُ يَعُمُّ الجيشَ المقدونيَّ الذي كان يحسبُ أن

آقبطانَ هي نهايةُ ذلكَ الزحفِ المُتواصلِ! فإذا عليهم أن يُواصِلُوا الزَّحْفَ وراءَ داريُوسَ في تلك الطُّرُقِ البعيدةِ المجهولةِ.

— ٤ —

قَرَّرَ الاسكندرُ أنْ يُتابعَ **مُطاردةَ داريُوسَ،** وقد عمدَ إلى إجازةِ بعضِ جُنودِه الذين استبدَّ بهم الحنينُ إلى بلادِهم، ووعدَ الآخرينَ بأن يُجيزَهم، كُلَّ فُرقةٍ بدَوْرِها، وقسَّمَ عساكرَهُ إلى ثلاثة أقسام: الأول تركه في أقبطانَ، حيث أودعَ حصنَها كُنُوزَهُ وسلَّمَ حِراستَه لِصديقِه **هربالَ،** وكلّفَ بارمينيون بقيادةِ مُعْظَمِ الجيشِ، واحتفظَ لنفسِه بجيشٍ سريعِ التحرُّكِ، واتّجهَ به نحوَ الشرقِ، لِمُطاردةِ داريُوسَ. غيرَ أنَّ **فرارَ العاهلِ الفارسي المرةَ تِلْوَ المرَّةِ دَفَعَ ضُبّاطَهُ إلى التآمُرِ على حَياته للتخلُّصِ منه،** وتَوْليةِ ابنِ عمِّه باسوسَ مَلِكاً على الفُرسِ عِوَضاً

عنه، وهكذا وصلَ الاسكندرُ إلى داريوسَ، وقد تمَّ اغتيالُه على يدِ المتآمرينَ عليه، في حزيران عامَ ٣٣٠ ق.م.

بعد مصرعِ داريُوسَ أخذَ الاسكندرُ يَلْبَسُ تاجَ مُلوكِ الفُرسِ .. تدي الثيابَ الفارسيةَ الشرقيةَ، ويُطالبُ الرعايا الفُرسَ بأن يَسْجُدوا له كما كانوا يسجُدونَ لِداريوسَ، وكان الاغريقُ حتى ذلك الوقتِ يُعْفَوْنَ من السُّجُودِ لهُ، وكانوا يعتبرونَ هذه الطريقةَ نابيةً ومُضحكةً، وكانَ الاسكندرُ آنذاكَ يحتفِلُ بعيدِ ميلادِه السادسِ والعشرينَ.

كانَ أتباعُ الاسكندرِ يَحْسَبُونَ أنَّ القضاء على داريوسَ هو نهايةُ معاركِهم في زَحْفِهم المُتواصِلِ منذُ أربعِ سنوات ونصفِ السنةِ، **وكانَ القائدُ العجوزُ بارمينيونُ يُشاطِرُ الجنودَ في وُجوبِ الكَفِّ**

عنِ القتالِ والعَوْدةِ إلى الوَطَنِ، فاتَّهمَه الاسكندرُ بالمَلَلِ والتَّعبِ، ودعا الجُنودَ المقدونيين إلى مُوالاةِ الزحفِ للقضاء على باسُوسَ، واستطاعَ أن يَستثيرَ نَخْوةَ الجُندِ وحَماستَهم بِخُطْبةٍ عاطفيةٍ، فهتفُوا له وأعلَنوا استعدادَهم لِمُتابعةِ الزحفِ وراءه! ولكنَّ عددَ المُستائينَ من مُوالاةِ الزحفِ كانَ يتزايدُ، ونَبَتَتْ بينَهم فِكْرَةُ الاعتداء على حياةِ الاسكندر، ونُبِّهَ فيلوتاسُ بن بارمينيونَ إلى المؤامرةِ فلم يُحرِّكْ ساكِناً، ولم يُخبر الاسكندرَ بها، فلما انكشفتِ المؤامرةُ عُدَّ فيلوتاسُ متَّهَماً وأعدِمَ، وكان الاسكندرُ يحقدُ على قائدِهِ الشابِّ سخريتَهُ من تأليهِ المِصريينَ لِفرْعَوْنِهم الجديدِ، فأمَر بتعذيبه للإقرارِ بذنبِهِ، فاعترفَ بما يُرادُ لهُ أنْ يعترفَ، وأقرَّ بأنه كان مُتآمراً، وأنَّ أباه بارمينيونَ كان مُتآمراً مثلَه،

وهكذا تمَّ القضاء على القائدِ العجوزِ وابنِه، وكانَ إعدامُهما سبباً لِمزيدٍ من الاستياء في صُفوفِ الجُندِ المَقدونيينَ!

ويدأ باسوسُ يهرُبُ أمامَ زحفِ الاسكندرِ، مُتوغِّلاً نحوَ الشرقِ، وجيشُ الاسكندرِ المُرهقُ يُطارِدُهُ وَسْطَ الشتاء وعبْرَ جِبالٍ وَعْرةٍ شاهِقةٍ، وكانتْ خسائرُ الاسكندرِ في جيشِه، خلالَ زَحْفِه التائهِ في قِمَمِ الجبالِ وفَوْقَ الجليدِ، أكثرَ مِمّا خسِرَ في معارِكِه الطاحنةِ كلِّها مُجتمعةً.

وفي ربيعِ عامِ ٣٢٩ ق.م وصل الاسكندرُ إلى سهلِ بقطر، ولكن بَاسوسَ كان في انسحابِهِ قد دَمَّر القُرى وأحرقَ المزارعَ. فلم يجِدِ الجيشُ المقدونيُّ الزاحفُ ما ينتفعُ بِهِ، وكانَ باسوسُ قد قطعَ نهرَ جَيْحُون وأحرقَ السُّفُنَ على ضفافِ النهرِ، فتبعَه

الاسكندرُ ولكنّه عندما بلغ الضفةَ الثانيةَ من النهر علِمَ أن عدداً من قُوّاد خصمِه قد تآمَروا عليه وحملُوه في القُيود إلى مُطارِديه، فحكمَ الاسكندرُ عليهِ بالاعدامِ، فنُفِّذ فيه، وظَنَّ الجيشُ المقدونيُّ أنَّ الزحفَ قد انتهى بالقضاء على باسُوسَ حينَ أخبرهم الاسكندرُ بِعَزْمِهِ على **احتلالِ صُغْدانَ (تُركستانَ)**، وكانتْ بعضُ الإمدادات قد وصلتْ إليه من أرجاء امبراطوريته، فتابعَ زَحْفَه على **(سَمَرْقَنْدَ)** ومنها نحو نهرِ **سَيْحُون**، وخلالَ معركةِ صُغْدانَ دَمَّرَ الاسكندرُ عدداً من المدُنِ، قبلَ أنْ يأمُرَ ببناء مدينةٍ جديدةٍ على ضفافِ سَيْحُون سمَّاها **(اسكندرية طرَفِ العالم)** بمُناسبةِ عيدِ ميلاده السابعِ والعشرينَ.

وخلالَ عامِ ٣٢٨ ق.م ثارتْ صُغْدانُ،

وخوصِرَتِ الحاميةُ التي خلَّفَها الاسكندرُ في سَمَرْقَنْدَ: وأصيبَ الاسكندرُ بِجُرحٍ في ساقِه أخذ يَعْرُجُ منه، كما أصيبَ بِضربةِ حَجَرٍ في رأسِهِ، فَقَدَ معَها وَعْيَهُ. وظلَّ مُضطربَ البَصَرِ من تلكَ الضربةِ لِعِدَّةِ أيامٍ. وثارتْ مدينةٌ بقطر (بَلْخ)، وظلَّ الاسكندرُ يُوالي قمع الثائرينَ، ويُعاقبُهم في صُغْدانَ وبقطر، مُقسِماً الجيش إلى عِدَّةِ فيالقَ، لِمُلاحقةِ الثائرين، حتى ضاق المقدونيون ذَرْعاً بالقتالِ وَمَلُّوا مِنْ كثْرةِ القتْلِ!

كان الاسكندرُ **بعد احتفالِه بعيدِ ميلادِه الثامنِ والعشرينَ في سَمَرْقَنْدَ يحلُمُ بفتحِ الهندِ،** ولكنه كان يريدُ إقرار الأمنِ والنظامِ في امبراطوريتهِ الواسعة التي يمتلكُها، فقرّر أنْ يعْهد لشقيقِ مُرْضِعتِه كليتوس الأمين بأن يكون نائبا عنه في صُغدان

وبقطرَ، مُكافأة له، ولكنَّ الضابطَ المقدونيَّ لم يَستقبلْ تعيينَه بالرِّضى، وأرسلَ لِسانَهُ وهو ثَمِلٌ بِنَقْدِ الاسكندرِ وسُلوكِه الفارسيِّ ولباسِه الشرقيِّ وانتظارِه من المَقْدونيينَ أن يَسجُدوا كالفُرسِ لَهُ، فرماهُ الاسكندرُ بِحَرْبَةٍ اخترقَتْ صَدْرَه، وهو ثَمِلٌ أيضاً، وتهاوى كليتُوسُ وهو يَلفظُ أنفاسَه الأخيرةَ، وصَحا الاسكندرُ فَجأة من سُكْرِهِ وغَضَبه، وارتمى باكياً فوقَ كليتوسَ، وانتزعَ الحربةَ القاتلةَ مِنْ صَدرِه وأرادَ أن يُغْمِدَها في صدرِهِ هُوَ، فانهالَ عليهِ الرفاقُ واستَلُّوها من بينِ يديهِ، وهو يَصيح:

ــ دَعُوني أقتلْ نفسي، فأنا لا أستحقُّ أنْ أعيشَ بعدَ هذهِ الفعلةِ الشَّنْعاء!

وارتمى على الأرضِ، وهو يبكي ويَصرخُ مُعْوِلاً:

ــ كليتوسُ، أيها الصديقُ الأمين، ماذا فعلتُ

بكَ! وظلَّ ثلاثةَ أيامٍ إلى جانبِ جُثَّةِ كليتوسَ، في حِدادٍ وتكفيرٍ على جَرِيمتِه النكراء، وعلى شَرَاسَتِهِ في مُعاملةِ الرفاقِ الذين صَنَعُوا له مجدَه وكلَّلُوا هامتَه بالتِّيجانِ!

وقضى الاسكندرُ الفترةَ **بعدَ مصرعِ كليتوسَ** إلى ربيعِ عامِ ٣٢٧ ق.م **في الإعْدادِ لِلحملةِ الهنديةِ**، والقضاء على جُيوبِ المُقاومةِ في الولاياتِ الفارسيةِ، والزّواجِ من **(رُوكسانا)** ابنةِ أحدِ أمراء بقطرَ، وكانتْ أجملَ امرأةٍ وقعَ عليها نَظَرُ الاسكندرِ في الامبراطوريةِ الفارسيةِ كُلِّها، وبهذا الزَّواجِ عَدَلَ أبوها عن مُقاومتِهِ للاسكندرِ، وعَمَّ السلامُ ذلك الجزء من العالمِ، وتَهَيَّأَ السبيلُ أمامَ الاسكندرِ ليزحفَ بِجُنودِه إلى الهندِ.

الباب الخامس

الحملة على الهند

ورحلة العودة

٣٢٧-٣٢٤ ق.م

— ١ —

اتَّجهَ الاسكندرُ إلى جنوبيِّ وَسَط آسيةَ، ماراً بينَ **جبالِ الأَفَغانِ** الوعرةِ، حتى بلغَ **ممرَّ خَيْبَر الذي يَشُقُّ الطريقَ إلى الهندِ**، وقد ازدادَ استياء كثيرٍ من جُنْدِهِ، وقد رَأَوْا أنَّ مُغامراتِهِ الحربيةَ لنْ تَقِفَ عندَ حَدٍّ!

كان العاهلُ الهِنْديُّ **تاكسيلُ** الذي تمتَدُّ مملكتُه بين نَهْرَيْ الهندِ والهَيْداسب (جيلامَ) على نزاعٍ مع جارِه القويِّ الملكِ **بوروسَ** الذي تَقُومُ مملكتُه وراء جيلامَ، فراحَ يَنْشُدُ مُحالَفَةَ الاسكندرِ في الحربِ ضِدَّ خَصْمِه بُوروسَ، فأرسلَ الوفودَ إلى الفاتحِ الكبيرِ لذلكَ، وعندما وصلَ الجيشُ المقدونيُّ إلى نهرِ الهندِ

في ربيع ٣٢٦ ق.م كانَ الاسكندرُ قد أمضى سنةً كاملةً منذ مُغادرتِهِ بقطرَ، وخاضَ معاركَ كثيرة عند اجتيازهِ مَناطِقَ القبائلِ التي كانتْ ترفُضُ أن تسمحَ لِلجيشِ المقدونيِّ بِعُبورِ أراضيها، وكانَ الملكُ تاكسيلُ ينتظرُ وُصولَ الاسكندرِ على الضَّفَّةِ الثانيةِ من نهرِ الهندِ، ومعه الهدايا من الفِيَلَةِ والثيرانِ والخِرافِ، ثم راحَ الاسكندرُ يتأهَّبُ لِحَرْبِ بُوروسَ، الذي يضمُّ جيشُهُ مائةَ ألفٍ من جُنود المشاةِ وأربعةَ آلافِ فارسٍ وأربعمَائةِ عَرَبةٍ وثلاثمَائةِ فيلٍ، وكانت عساكرُه تنتظرُ على الضفةِ الشرقيةِ من نهرِ جيلامَ، في مُعَسْكَرِها، ولم يُضِعِ الاسكندرُ الوقتَ، فاختارَ اثنى عشر ألفاً من رجالِه وعبرَ بهم ذلكَ النهرَ (**البُنْجابَ**) وداهمَ جُموعَ بُوروسَ التي اضطربَتْ لِهَوْلِ المُفاجأةِ، وكان القتالُ ضَارياً، وجُرِحَ بوروسُ جُرحاً خطيراً، ولكنه ظلَّ يُقاومُ حتى

النهايةِ، وهو فوقَ فيلِهِ، وعندما بدأ يتقهقرُ أرادَ الاسكندرُ أن يَتعقَّبَهُ فوقَ فَرَسِهِ بُوسيفالَ، ولكن ذلكَ الجوادَ العظيمَ الذي رافقَ الاسكندرَ مُنذ يَفَاعَتِهِ هوىٰ فَجْأَةً إلى الأرضِ، وأسلمَ الرُّوحَ، ووقفَ الإسكندرُ إلى جانبِ جُثَّتِهِ حَزيناً، وقدِ اغْرَوْرَقَتْ عيناه بالدُّموعِ، وجِيءَ ببُورُوسَ مُسْتَسْلِماً، فلما سألَهُ الاسكندرُ كيف يُريدُ أن يعامِلَهُ أجاب الملكُ المقهورُ:

ــ كما تُعامَلُ المُلوكُ!

وأعْجِبَ الاسكندرُ بهذا الجوابِ، وجَمَعَ بين بُوروسَ وتاكسيلَ وأكرَهَهُما على أن يَتصالحَا، ولم يَفْرِضْ على الملكِ الهنديِّ المغلوبِ شيئاً سوى أن يُعيدَ تأليفَ جيشِه ليلتحقَ بالجيشِ الإغريقيِّ، وأمرَ الاسكندرُ بتخليدِ انتصاره في المعركةِ، فأنشأَ

مدينتَيْنِ: أولاهما باسمِ «**اسكندريةِ بُوسيفاليا**» تخليداً لِجَوادِهِ، والثانيةُ باسم «**اسكندريةِ نِيقيا**» كما أمرَ ببناء أسطُولٍ للتنقُّلِ فوقَ نَهرَيْ الهندِ وجيلامَ، ثم تابَعَ الفاتحُ الكبيرُ زحفَه نحوَ الشرقِ، وقطعَ نهرينِ آخَرَيْنِ، هما (**الآسيزينُ**) و(**الهدرواتُ**) حتى وصلَ بجيشِه إلى ضِفافِ نهر **الهيغازِ** الذي تَمتدُّ وراءه أراضٍ يحكُمها مِلكٌ يُدعى **اكسندارميسَ**، فَعَزَمَ على اجتيازِ النهرِ لِغَزْوِهِ، ولكنَّ جيشَ الاسكندرِ ـــ وقَدْ عَمَّ التَذَمُّرُ في صُفوفِهِ ـــ رفضَ إطاعَتَهُ وأعلنَ التمرُّدَ هذه المرةَ بصَراحةٍ، ولمْ يستجبْ لِخُطبةِ القائدِ الذي حاولَ أيضاً دُونَ جَدْوى أن يَستثيرَ حَماسةَ جُندِهِ لِمُوالاةِ الزَّحْفِ، إلى أنْ يُصبِحُوا سادةَ العالمِ كلِّهِ!

أمامَ إصرارِ الجُندِ على **عِصْيانِ أمْرِ الاسكندرِ**

بمُتابعةِ الفُتوحاتِ لم يَجِد القائدُ بُداً منَ النزولِ على رأي جُنودِهِ، فتركَ لِتاكسيلَ وبُوروسَ أمرَ الحُكْمِ باسمه على جميع الممالكِ القائمَةِ شماليَّ الهندِ، **وبدأ الجيشُ المقدونيُّ الفاتحُ يَسْتَعِدُّ للعودةِ إلى أرضِ الوطنِ!**

— ٢ —

كانتْ ثمانيةُ أعوامٍ قد انقضتْ مُنذُ عَبَرَ الاسكندرُ بجيشِه المقدونيِّ الدَّرْدَنيلَ إلى آسيةَ، وكان هذا الجيشُ بعدَ خَوْضِهِ كثيراً من المعاركِ الطاحنةِ في ميادينَ تَبعُدُ آلافَ الأميالِ عن بلادِ اليُونانِ قد مَلَّ القِتالَ وأصرَّ على العودةِ إلى الوطن. وقد **نزلَ الاسكندرُ مُكْرَهاً عَنْ رأيِهِ بِمُتابعةِ الفُتوحات في الهندِ**، ورضيَ بالعودةِ، ولكنَّهُ أقنعَ ضُبّاطَهُ بأن يَسلُكوا في عودتِهم طُرقَ المياهِ، لأنَّ عودتَهم من الطريق التي قَدِمُوا منها ستكونُ أشبهَ بانسحابِ المكسُورين، ولهذا أمرَ ببِناء السفن (نحو ألفِ سفينةٍ) فأبحرَ عليها كثيرٌ من الجُنودِ فوقَ مَجْرى نهرِ

جيلام. ومشى الآخرون على ضِفَتيْ النهرِ مع الخيولِ والفِيَلَةِ.

لم تكن رحلةُ العودةِ سهلةً كما يُريدُها جُنودُ الاسكندرِ، فعندَ مُلتقى نَهْرَيْ جيلامَ والآسيزين كانتِ التيّاراتُ المُزبدةُ تُطبِقُ على المَراكِبِ فتدفَعُها إلى ارتطامِ بعضِها ببعضٍ، مما أدّى إلى غرقِ عددٍ منها بِكُلِّ ما تحملُه من رجالٍ وعتادٍ ومُؤنٍ، وعلى ضفافِ الآسيزين كان سُكانُ تلك المناطق الذين يُسمَّوْنَ (المالين) يَرفُضُونَ الخُضوعَ لِلغُرباء، فتصدّى لهم الاسكندرُ، وداهمَ عاصمتَهم، وأعملَ في أهلِها ذَبْحاً، وكان الاسكندرُ يرى تَلَكُّؤ جُندِه في القتالِ، فيُلقي بنفسِه في المُقدّمةِ، حتى إنه اضطُرَّ مرتينِ إلى أن يَتَسلَّقَ الأسوارَ قبلَ جُنودِه، ليُثيرَ حَماستَهم، وأصيبَ بسهمٍ في صَدْرِهِ، وقضى الفاتحُ

الكَبيرُ عِدَّةَ أسابيعَ وهو مُشْرف على الموتِ، حتى استردَّ عافيتَه، **وعند مُلتقى نَهرَيْ الآسيزين والهندِ أسسَ اسكندريةً جديدة!**

وفي أوائلِ الصيفِ بلغَ الاسكندرُ مدينةَ **(باتالا)** التي لا تبعُدُ عن البحرِ كثيراً: وبِوصولِ الجيشِ المقدونيِّ إلى البحرِ كانت سَنَةٌ كاملةٌ قد مَرَّتْ على وَعْدِ القائدِ له بالعودةِ إلى أرضِ الوطنِ!

وصلَ الاسكندرُ إلى ما يُسمّى اليومَ **(البحرَ العربيَّ) قُرْبَ كَراتْشِي** ومِنْ هُناكَ أبحرَ نحوُ ثلاثةِ آلافِ جُنديٍ إلى الخليجِ العربيِّ، وأمّا بقيةُ الجيشِ المَقْدونيِّ فقد كانَ عليها أن تَسيرَ بِمُحاذاةِ السَّاحِلِ، بقيادةِ الاسكندرِ، ولكنَّ ظُهورَ سلسلةِ جبالٍ عاليةٍ دَفَعَتْهُ إلى التوغُّلِ داخلَ البلادِ، في صحراء مُوحشةٍ تاهَ فيها الأدِلاّء، وهي **صحراء جَدْروسيا**

(بلوخستان) التي تُعَدُّ أكثرَ مكانٍ في العالم جَدْباً، وقد **عانى الجيشُ العائدُ الويلاتِ والأهوالَ،** وكانَ المُرْهَقُونَ والمرضى يتساقَطُونَ على الطريقِ فوقَ الرِّمالِ وقد قتلَهُم الظمأ، وحينَ وصلَ الاسكندرُ إلى مدينةِ بورا كانَ الجيشُ قد فَقَدَ نِصْفَهُ، وخلَّفَ وراءه خمسةَ عَشَرَ ألفَ جُثَّةٍ مُنْتَثِرَةٍ على طُولِ الطريقِ!

وفي مَدْخَلِ بلاد **كرمانَ** تجمعتِ الفِرَقُ الباقيةُ منَ الجيشِ العائدِ، وانضمَّ إليها الجُنودُ الذين تُرِكوا قبلَ خمسةِ أعوامٍ في أقبطانَ (هَمَدَانَ) كما وصلَ الأُسطولُ الذي كانَ الاسكندرُ يترقَّبُ ظُهورَهُ، وبذلك تجمَّعَتْ قُواتُ الاسكندرِ كلُّها للعودةِ إلى فارسَ، **وتابعَ العائدونَ الطريقَ إلى فرسبوليسَ وسُوسةَ، وفي سُوسةَ** كانتْ زوجةُ الاسكندرِ الأُولى

برسينُ في انتظارِ أوْبَتِهِ، لتُقدِّمَ لهُ ابنَهُ وقد أصبحَ في الثامنةِ من عُمرِهِ، ولِتَتَعرَّفَ على الزوجةِ الثانيةِ (رُوكسانا)، واستعادَ الاسكندرُ في سُوسةَ إدارةَ امبراطوريتِه بِيَدِهِ، وراحَ يُوطِّدُ دعائمَ سُلطانِهِ ويُطالبُ حُكّامَ الولاياتِ بتقديمِ الحِسابِ، ويُعاقِبُ كُلَّ مَنْ أساء استعمالَ السُّلْطةِ في غيابِهِ.

وأقامَ الاسكندرُ وليمةً فخمةً أمرَ فيها ثمانينَ من جنرالاتهِ وعَشْرةَ آلافٍ من جُنودِه بأن يَتزوَّجُوا فتياتٍ فارسيّات، وغايتُه أن يُوَحِّدَ بينَ الشعبينِ الفارسيِّ واليُونانيِّ، وقد قرّرَ أن يتزوَّجَ هو نفسُه أميرتَيْنِ فارسيتَيْنِ دَفعةً واحدة: أولاهما ابنةُ داريُوسَ والثانيةُ ابنةُ أميرٍ كانَ يُنازِعُ داريُوسَ لاستيلائه على العرشِ، وبهذا الزَّواجِ المُزْدَوجِ قَدَّرَ الاسكندرُ أن يُوفِّقَ بين الفرعَيْنِ المُتنازِعَيْنِ في

الأُسرةِ الفارسيةِ المالكةِ! وامتدّتْ هذه **الأعراسُ السياسيةُ الباذخةُ** خمسةَ أيامٍ في مِهرجاناتٍ مُتواليةٍ. كانَ كَرَمُ الاسكندرِ خلالَها يشمَلُ رجالَه، إذ كانَ ينثُرُ عليهم الذهبَ نَثْراً!

وراحَ **الاسكندرُ يُعِدُّ جيشاً جَديداً من المُقاتلينَ الفُرسِ يُدَرِّبُهم على الطريقةِ المَقْدونيّةِ**، وعندما ظهرتْ مَهارَةُ هؤلاء المُجنَّدِينَ ومُرونتُهم في المناوراتِ أَخَذتِ الغِيرةُ تَدِبُّ في نُفوسِ المحاربينَ القُدامى اليونانيينَ، وعندما أعلنَ الاسكندرُ تَسْريحَ عَشرةِ آلافٍ من هؤلاء لِيَعُودوا إلى الوطنِ انفجرتْ فِتنةٌ حقيقيةٌ، وقالَ النافِخونَ في نارِها: إنَّ الاسكندرَ يَوَدُّ التخلُّصَ مِنَ المَقْدونيينَ لِيَسْتَعِيضَ عنهم بالفُرسِ، واتّهموه بالتنكُّرِ لِرفاقه القُدامى، واشتدَّ اللَّغَطُ، وبلغَ مسامعَ الاسكندرِ،

فأسْرَعَ لإطفاء الفِتنةِ، وخطبَ في الجُنودِ الغاضبينَ خُطبةً طويلةً مُؤثِّرةً مُفْعَمَةً بالغضَبِ والحُزْنِ، وكانَ مِمّا قالَه فيها:

«قد قَطعتُ بكم الدَّرْدَنيلَ في الوقتِ الذي كانَ فيه الفُرسُ يَقبضونَ على ناصِيَةِ السِّيادةِ في البحارِ، وسحقتْ مَرازِبَةَ الفُرس في الغَرانيقِ، وأضفتُ إلى امبراطوريتكم ولاياتِ آسيةَ الصُّغْرى كلِّها وانتزعتُ بالهجومِ عدداً من المُدنِ، واستسلمَ كثيرٌ غيرُها، وَوَزَّعْتُ عليكم الثَّروَاتِ التي كانت تلك المُدنُ تنعمُ بها، وأتتكم خَيْراتُ مِصْرَ وليبية اللتينِ فتحتُهما دونَ قتالٍ، من تِلقاء نفسِها، وأصبحتْ كلٌّ من سُوريةَ وفلسطينَ والعراقِ مُلْكاً لكم، وكذلك أصبحتْ بابِلُ وبَلْخُ وسُوسةُ لكم وثَرواتُ الفُرسِ وبَذْخُهم، وكنوزُ الهنودِ تحوَّلَتْ

إلى أيديكم ولَكُمْ أصبحَ الأُوقيانوسُ الخارجيُّ، أنتم الآنَ رؤساء وقُوادٌ ونُوّابُ مَلِكٍ، فما الذي احتفظتُ به لِنَفْسي ثمناً لِكُلِّ هذهِ المتاعبِ، عدا هذا الطيلسانِ الأُرْجُوانيِّ وهذا التاجِ؟ إني لم أستأْثِرْ بِشَيْء لنفسي!.

لقد كنتُ دائماً آكُلُ مما تأكُلونَ، وكانتْ موائدُ ضُبَّاطي تَحفَلُ بالأطايبِ أكثرَ مِنْ مائدتي، وأنا أنامُ في الخيمةِ كما تنامُونَ، ولا أسمحُ لِنَفْسي بالراحةِ أكثرَ منكم، ولقد كنتُ أسهرُ الليالِيَ أعملُ وأُخَطِّطُ وأنتم نائمونَ! هل فيكم رجُلٌ يُمكنُهُ أن يَتَصَوَّرَ أنّهُ عانى منَ المتاعبِ والآلامِ في سبيلي أكثرَ مما عانَيْتُ أنا في سَبيلِهِ؟ ألا فَلْيكْشِفْ أيٌّ منكم عن جِسْمِهِ لِتَظْهَرَ آثارُ الجراحِ، وأنا أفعلُ مِثْلَكم، لِتَنْظُروا بأعينِكم وتُقارِنُوا!»

ومَزَّقَ بحركةٍ عصبيةٍ جِلبابَه الأُرْجوانيَّ، وكشفَ عن صدرِهِ وقد أثخنتْهُ الجِراحُ، وقال:

«ما مِنْ عُضْوٍ في جسمي يَخْلُو من أثَرِ جُرْحٍ، وما من سِلاحٍ لم أتَلَقَّ منه ضَرْبةً أو أكثرَ، كلُّ ذلك حُبّاً بِحياتِكم ومَجْدِكم وإغنائكم!

والآنَ أنوي أن أرسِلَ الذين أصبحوا عاجزينَ عن الخِدمةِ إلى أهلِيهم وبُيوتِهم، وأنا أغْدِقُ عليهم النِّعَمَ، وقد كنتُم تَحِنُّونَ إلى العَوْدة إلى الوطنِ، ولا بُدَّ أنْ يكونَ مَنْ أنوي إرسالَهم إليه أكثرَكم رَغْبَةً وحنيناً في العودةِ، ولكنْ ما دُمتم تريدون جميعُكم الآنَ العودةَ، فاذهبُوا جميعاً، فأنا لا أمنعُ أحداً يُريدُ الذَّهابَ، **وعُودوا إلى بيوتِكم وخَبِّروا أهلَكم وأصحابَكم هُناكَ كيفَ عاملتم الاسكندرَ فاتحَ العالمِ، وكيفَ تخلَّيْتُم عن مليكِكم وتركتُموه ولا**

حامي له سوى الغُرباء المغلوبينَ، قُولوا للناسِ ذلكَ وانظروا أيَّ مجدٍ تَحْظَوْنَ به لَدَيْهم وأيَّ تكريمٍ يُقابلونكم به! اذهبُوا، لا أريد أن أرى أحداً منكم، ولا أَنْ تَقَعَ عيني عليهِ!»

ورآهُ الجُنودُ الذاهِلُونَ وهو يَدخلُ القصرَ، وقد رفضَ أنْ يستقبلَ أياً مِن الناسِ مُدةَ ثلاثةِ أيامٍ، صَدَرَتْ بعدَها أوامرُه بدعوةِ ضُبّاطِه وتشكيلِ هيئاتٍ عسكريةٍ جديدةٍ، وتَجمَّعَ المقدونيونَ أمامَ قصرِهِ مُتَضَرِّعِينَ، وقد وَعَدُوا أن يُسَلِّمُوهُ قادةَ الفِتنةِ، وتَمَّتِ المُصالحةُ العاطفيةُ في جَوٍّ مِنَ الدُّموعِ والفَرَحِ، وبعدَ عِدّةِ أيامٍ غادرَ المُسرَّحُونَ من المحاربينَ بلادَ الفُرسِ، وعلى رأسِهم واحدٌ من كِبارِ القُوّادِ ليكونَ وصياً جديداً على مقدونيةَ، إلى جانبِ أولمبياسَ أمِّ الاسكندرِ، التي نجحتْ في إقالةِ الوصي

السابقِ.

وانصرفَ الاسكندرُ بعدَ رحيلهم لقَضاء صيفِ عامِ ٣٢٤ ق.م في أقبطانَ (هَمَدانَ) مَصِيفِ مُلوكِ فارسَ، وبدأ يُخطِّطُ لِحَمْلَتِهِ الكُبرى القَادمةِ على أفْريقية، وكان التفكيرُ فيها يَشْغَلُ بالَه مُنذُ أشهرٍ عديدةٍ! وفي القصرِ الملكيِّ الصيفيِّ احتَفَلَ الاسكندرُ بعيدِ ميلادِه الثاني والثلاثينَ.

الخاتمة

الاسكندر في نهاية المطاف

٣٢٤-٣٢٣ ق.م

كان استعدادُ الاسكندرِ لِلحملةِ الكُبرى على افريقيةَ يَشْغَلُ كُلَّ وقتِهِ، وقد أمَرَ ببناء أسطولٍ كبيرٍ من ألْفِ مركبٍ حربيٍّ، فأصبحتْ جميعُ الموانىء في بحر ايجةَ وبحرِ فينيقيةَ والبحرِ العربيِّ (الفارسي) مُنهمكةً في العمل لبناء ذلكَ الأُسطولِ، كما أمرَ الاسكندرُ بإنشاء طَريقٍ ساحليٍ يَمتدُّ من اسكندريةِ مِصْرَ إلى بُرقةَ في ليبيةَ، ومن بُرقةَ إلى قَرْطَاجةَ، فشُرِعَ في تنفيذِه، وكانت خُطةُ الفاتحِ العظيمِ أن تَسْلُكَ الحملةُ طريقيْن: الطريقَ البحريَّ وهذا الطريقَ البريَّ، نحوَ قَرْطَاجةَ لإخضاعِها، قبلَ بُلوغِ المضيقِ عند أعمدةِ هيراكليسَ (مضيق جبل طارق).

كانَ بلاطُ الاسكندرِ الأكبرِ في هَمَدانَ يَعُجُّ بآلافِ المُهندسين والبنّائينَ، وكان فاتحُ العالم القديم يُشرفُ بنفسِه على سَيْرِ الأعمالِ في بناء السُّفُنِ الجديدةِ، حين أصيبَ (هيفستيونُ) أعزُّ أصدقاء الاسكندر وأحبُّ رفاقِهِ إلى قَلْبِهِ بِحُمّى شديدةٍ قَضَتْ عليه، فكانَ حُزن الاسكندرِ وجَزَعُه على صديقِهِ بالغاً، وأعلنَ الحِدادَ عليه لمدةِ ثلاثةِ أشهرٍ، انقضَتْ مَع نهايةِ عامِ ٣٢٤ ق.م. وعند ذلكَ أَمَر الاسكندرُ بالرحيلِ إلى (بَابِلَ) حيثُ كانَ فيها عددٌ كبيرٌ من سُفَراء الأُمم جميعاً في انتظارهِ، وكانتْ أخبارُ الحملةِ القادمةِ قد انتشرتْ في كُلِّ مكانٍ، فجاء هؤلاء السفراء إلى الفاتحِ الكبيرِ رُسُلَ سَلامٍ من شَتّى الأجناسِ والأُممِ: من الأَحْبَاشِ المُقيمينَ في قَلْبِ افريقيةَ، إلى القَرْطاجنيّينَ والايبيريينَ (الاسبان) إلى الرُّومانِ والصَّقلّيينَ، إلى الغاليّينَ (الفرنسين)،

جاء السُّفراء من هذهِ الأممِ يُعْرِبُونَ للاسكندرِ الكبيرِ عن صَداقتِهم وحِرْصِهم على مُسالَمَتِهِ، ووصلَ الاسكندرُ الأكبرُ إلى (بابِلَ) في مَوْكبٍ امبراطوريٍّ حاشِدٍ، واستقبلَ السُّفَراء في جوٍّ منَ الأُبَّهَةِ، وأمضى الربيعَ كلَّه من عامِ ٣٢٣ ق.م في مُوالاةِ الإعدادِ لِلحَمْلَةِ الافريقيةِ واستعراضِ الفَيالقِ الجديدةِ من المُقاتلينَ حتى أنهى كُلَّ شيء، وتقرَّرَ موعدُ السَّفَرِ لِتنطلقَ كتائبُ الفتحِ نحوَ افريقيَّةَ، حينَ باغَتَ المَرَضُ الاسكندرَ ولَزِمَ الفِراشَ مَنْهُوكَ القوى، وصارَ يَغيبُ عن وَعْيِهِ فَتَراتٍ، ويَنْتَابُهُ الهَذَيانُ من الحُمّى، ويُقدِّرُ بعضُ الباحثينَ أنْ يكونَ السُّمُّ قد دُسَّ للاسكندرِ، إذْ كانَ في مُعَسْكَرِهِ وحاشِيتهِ كثيرٌ من الفُرْسِ الذينَ يَتَظاهرون أمامَهُ بالخُضوعِ والصَّداقة، وهم يُخْفُونَ كُرْهَهُم وحِقْدَهُم

على قاهِرِهم وغازي بلادِهم، ويُدَبِّرُون **لاغتيالِهِ** والغَدْرِ بِهِ كُلَّ تدبيرٍ، وكان الاسكندرُ الأكبرُ يُقاوِمُ إعياءهُ وضَعْفَهُ عندما يَصْحُو من غَيْبُوبَتِهِ، ويُشارِكُ في تَوْجِيهِ الإعْداداتِ الأخيرةِ للحملةِ المُنتظرةِ، ولكنَّ الموتَ لم يُمْهِلْهُ إلاّ أياماً قليلةً، **وعندَ إعلانِ وَفاتِهِ أصابَ الذُّعْرُ والذُّهولُ جُموعَ المَقْدُونيينَ،** وشَمَلَهم حُزن عميقٌ عَمَّ مدينةَ بَابِلَ ومُعسْكراتِ الفيالقِ، وهم يَشهدونَ النهايةَ المبكِّرَةَ لِلفاتحِ البطلِ، **قَبْلَ أنْ يُحَقِّقَ مطامِحَه** في إتمامِ فُتوحاته لِلدُّنيا، **ويصيرَ سيِّدَ العالمِ كُلِّهِ!**

وإثْرَ وفاةِ الاسكندرِ الأكبرِ في الثالثِ عشرَ من حزيرانَ عامَ ٣٢٣ ق.م، قبل أن يُتِمَّ الثالثةَ والثلاثينَ من حَياتِهِ الفَتِيَّةِ القصيرةِ، ودُونَ أن يُعيِّنَ مَنْ سَيَرِثُ عَرْشَ الامبراطوريةِ الكُبرى التي أنشأها،

انطلقَ الصِّراعُ بَيْنَ كِبارِ قادةِ الجيشِ لاقْتسِامِ التّرِكةِ الضخْمَةِ، وأصبحتْ سِيرَةُ الفاتحِ الكبيرِ الراحلِ أسْطورة تتناقلها الأجْيَالُ ويَتَغنَّى التاريخ بِبُطولاتِها وأمجادِها وخلودِها.

المحتوى

سلسلة في عشر حلقات تعرض سيراً موجزة
لأعلام مبرزين من الشرق والغرب



سلسلة صغيرة تغنيك
عن مكتبة كبيرة

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش
ص.ب: (٦٩١٨ - ١١)